



جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين



الشيخ طاهر الجزائري واختياراته في علوم القرآن في كتابه التبيان

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: التفسير وعلوم القرآن

المشرف:

أ.د. عبد الكريم بوغزالة

الطالب:

فؤاد ملوكة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الكريم حاقة	أستاذ محاضر - ب -	جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي	رئيسا
عبد الكريم بوغزالة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي	مشرفا ومقررا
يوسف تريعة	أستاذ	جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1437-1438هـ / 2016-2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴾ (التوبة: 105)

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك
ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك.. ولا تطيب الجنة إلا برويتك.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. ونصح الأمة.. إلى نبي الرحمة ونور العالمين...

* سيدنا محمد ﷺ *

إلى من كلله الله بالهيبه والوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار.. إلى من أحمل اسمه بكل
افتخار.. أرجو من الله أن يمد في عمره ليرى ثمارا قد حان قطافها..والذي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب والحنان.. إلى بسمه الحياة.. إلى من كان دعائها سر
بنجاحي وحنانها بلسم جراحي..أمي الغالية

إلى من بوجودهم أكتسب قوة ومحبة.. إلى من عرفت معهم معنى الحياة.. أخوتي وإخوتي

إلى من كانت سندي ورفيقتي في الحياة والتي صبرت معي حتى يُكَلَّل الجهد بنجاح .. زوجتي

إلى البراءة الواعدة بمستقبل أفضل.. بناتي.. ولاء أبرار جنان فاطمة

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات.. إلى من جعلهم الله أخوتي في الله..أصدقائي و زملائي

إلى من أتمنى أن أذكرهم إلى من أتمنى أن تبقى صورهم في مخيلتي..أساتذتي الكرام في كل الأطوار

فؤاد ملوكة

شكر وعرفان

الحمد لله القائل ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (ابراهيم:7)

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد ﷺ القائل

(لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)¹

فأقل ما يمليه الواجب كلمة شكر وتقدير، لمن كان له الفضل في خروج

هذا العمل بهذه الصورة، فاعترافاً بالفضل لأهل الفضل، أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور

عبد الكريم بوغزالة - حفظه الله - الذي تفضّل بقبول الإشراف على هذه الرسالة

فكان منار سفينتي كلما أشكلت الدروب، جاد عليّ بإرشاداته السديدة، ونصائحه المفيدة فجزاه

الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء.

كما أقدم شكراً خاصاً وتقديراً كبيراً إلى الأستاذ الفاضل مختار قديري لما قدمه لي من مساعدة في

سبيل إنجاز هذا العمل، والذي اقترح عليّ موضوع الدراسة.

ولا أنسى أيضاً أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المحترم محمد الصالح غريسي الذي قام

بتوجيهي في بداية هذا البحث.

والشكر موصول للجنة المناقشة على قبولها قراءة بحثي ومناقشته وتصويبه.

كما لا أنسى الأخ محمد ياسين دبش ومحمد بالعروسي على ما تفضّلوا به عليّ من خدمات، أسأل

الله أن يجازيهم عني خير الجزاء.

فؤاد ملوكة

¹ - أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد، باب من لم يشكر للناس، رقم 218، (85/1). قال الشيخ الألباني: صحيح

ملخص البحث

هذا البحث عبارة عن دراسة لأهم اختيارات الإمام العلامة الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان"، حيث وقفت من خلال كتابه على ثلاثين اختياراً، درست منها خمسة اختيارات من الفصول الثلاثة الأولى، وقد قسّمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تناولت في المبحث الأول التعريف بالشيخ طاهر الجزائري، أما المبحث الثاني تطرقت فيه إلى التعريف بكتابه التبيان، وفي المبحث الثالث وهو صلب الموضوع درست فيه الاختيارات من خلال عرض مجمل الأقوال في المسألة وأصحابها وأدلتهم، ثم المناقشة وأخيراً ذكر القول الراجح.

وقد خلاص هذا البحث إلى عدة نتائج نذكر منها: أن كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن من أهم وأشمل ما كُتب في هذا الفن، حيث أن مؤلفه تعرض فيه لأهم مباحث هذا العلم. الشيخ طاهر لم يكن مجرد ناقل، بل أدمج بعض الأنواع في بعض وبين بعض الفصول التي تحتاج إلى بيان، وضبط أبوابه وتقسيماته وأضاف إليه عدة مسائل وفوائد جديدة. إضافة إلى اشتغال الشيخ بالتأليف في مجالات عديدة لكونه يُعدّ من العلماء الموسوعيين، الذين يجمعون ويتقنون عدّة فنون، فقد ساهم كثيراً في مجال التربية والتعليم والدعوة والإصلاح، فكان الشيخ طاهر في بلاد الشام الشعلة التي أنارت ظلمات الجهل والتخلف فتفتحت على يديه عقول رفعت لواء النهضة العربية والإسلامية في أوائل القرن العشرين في بلاد الشام.

This research is a study of the most important choices of Imam Sheik Taher Al-Jazairi in the sciences of the Koran in his book "Ettebiane Lebaath Mabahith Elmotaalika Bil koran". I have found in his book thirty choices, which I studied five of them from the first three chapters. I have divided the research into an introduction, three sections and a conclusion. I have dealt in the first section the definition of Sheik Taher Al-Jazairi. The second section, I have touched on it the definition of his book "Ettebiane" and in the third one, which is the crux of the subject, I have examined the choices through the presentation of all the statements in the matter, their owners and their evidence, and then the discussion and finally mentioning the preferred statement.

This research has led to several results, including: The book "Ettebiane Lebaath Mabahith Elmotaalika Bil koran" is the most important and most comprehensive of what was written in this art, as the author has presented the most important topics of this science. Sheik Taher was not just a transcriber, but he has merged some types into some ones and he has showed some of the chapters that need to be explained, and he has done its chapters and divisions accurately and he has added to it several new issues and benefits. In addition to his busyness with authorship in several fields because he is considered an encyclopedic scholar who masters several arts. He has contributed a lot in the in the field of education, mission and reform. In the Levant, Sheik Taher was the torch that illuminated the darkness of ignorance

and underdevelopment so; minds have been opened by him that have hoisted the banner of the Arab and Islamic renaissance in the early twentieth century in the Levant.

قائمة الرموز والإشارات المستخدمة في البحث

الرمز	الاسم
ص	صفحة
هـ	هجري
م	ميلادي
لا.ن	لا ناشر
لا.م	لا مكان طبع
د.ت	بدون ذكر تاريخ
لا.ط	لا طبعة

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فإن علوم القرآن الكريم والتفسير من أرفع العلوم قدرا، وأشرفها ذكرا، والاشتغال بها من أجل الأعمال وأفضل القربات لتعلقها بكتاب الله تعالى، وقد عكف العلماء قديما وحديثا على هذه العلوم يدرسونها ويستخرجون كنوزها، فاعتنوا وبذلوا أعمارهم في التصنيف وتأليف الكتب التي تخدم كتاب الله تعالى، فتركوا لنا تراثا علميا عظيما محفوظا ملاء مكتبات العالم.

وفي وقتنا الحاضر بُذلت جهود كبيرة من العلماء والباحثين وطلبة العلم حتى ترى هذه المصنفات النور ويستفاد منها وتصبح في متناول طلبة العلم والمعرفة والباحثين والمتخصصين.

ومن وضع بصمته وقضى وقتا في التصنيف الإمام العلامة الشيخ طاهر الجزائري الذي كتب في علوم القرآن والتفسير وعلوم الحديث والعقيدة وغيرها.

وإدراكا مني لجهود هذا الإمام في خدمة القرآن الكريم وعلومه من خلال تصانيفه الكثيرة في مختلف الفنون، لذا عقدت العزم على التعريف به وبكتابه " التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان " ودراسة مجموعة من اختياراته لتكون مجال دراستي وبحثي في رسالة الماجستير، وعنوانها بـ: "الشيخ طاهر الجزائري واختياراته في علوم القرآن في كتابه التبيان".

أهمية الموضوع:

يقتضي هذا الموضوع أهمية بالغة لكونه من الدراسات التي تخصصت في دراسة كتاب الله،

ويمكن إجمال أهمية هذا الموضوع في الآتي:

- 1- قيمته العلمية لكونه متعلقا بالقرآن الكريم وعلومه.
- 2- مكانه الشيخ طاهر ومبلغه من العلم وعلو منزلته.
- 3- عدم خوض الباحثين على حد علمي في دراسة اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان.

أسباب اختيار الموضوع:

لا شك أن وراء اختياري لهذا الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

• الأسباب الذاتية:

- 1- كون الموضوع في مجال التخصص وهو علوم القرآن.
- 2- الرغبة في الإمام بمادة علوم القرآن وفهمها فهما جيدا من خلال دراسة الكتاب.
- 3- الحرص على تنمية الملكة الشخصية في مناقشة الأقوال والترجيح بينها.

• الأسباب الموضوعية:

- 1- مكانة الشيخ العلمية بين أقرانه وزملائه؛ فقد تبوأ مكانة عالية في زمانه.
- 2- لم أطلع على أحد تكلم عن اختيارات الشيخ طاهر في علوم القرآن في بحث مستقل فيما أعلم، فأردت خوض غمار هذا الموضوع وأسأل الله التوفيق والسداد.
- 3- إثراء المكتبة الإسلامية.

إشكالية الموضوع:

كتاب " التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيقان " للشيخ طاهر الجزائري يعد من بين أهم مؤلفاته التي وضع فيها لباب علمه وأثر من آثار قريحته، تجلّى فيها روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة. ومن خلال هذا البحث أسعى إلى دراسة هذا الكتاب على طريق الإجابة على الإشكالية الرئيسية الآتية: ما هي اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان؟

وللإجابة عن هذا الإشكال وضعت عدة تساؤلات فرعية، من شأنها الإمام بالجوانب المختلفة لهذا الموضوع وهي كالآتي:

من هو الشيخ طاهر الجزائري؟ وما هي المباحث التي تناولها في كتابه التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيقان؟ وماذا يقصد بـ: "على طريق الإتيقان"؟ وما هي أهم مؤلفاته؟ وما المصادر التي اعتمدها في كتابه؟ وما هو المنهج الذي سلكه فيه؟ وما هي مميزات هذا الكتاب وأهم المآخذ عليه؟

أهداف البحث:

يمكن إجمال الأهداف من هذه الدراسة في الآتي:

- 1- التعريف بالشيخ طاهر الجزائري رحمه الله تعالى، وبيان أهم مؤلفاته وتلاميذه ودوره في الدعوة والإصلاح.
- 2- إبراز جهود الإمام في خدمة علوم القرآن، من خلال التعرف على اختياراته.
- 3- المساهمة في إثراء المكتبة الحديثة لعلها تكون لبنة في صرح هذا العلم الشامخ.
- 4- الإجابة عن التساؤلات والاستفسارات المطروحة في الإشكالية.

مجال البحث وحدوده:

من خلال العنوان يتضح أن الدراسة تقتصر على كتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان" للشيخ طاهر الجزائري، وذلك بالتطرق إلى بعض اختياراته في علوم القرآن، باستقراء الثلاث فصول الأولى وهي: في بيان المكي والمدني من القرآن وما يناسب ذلك، في كيفية نزول القرآن وما يتعلق بذلك، في نزول القرآن على سبعة أحرف.

الدراسات السابقة:

من خلال المصادر والمراجع التي اطلعت عليها وكذلك البحث في الشبكة العنكبوتية لم أقف في حد علمي على دراسة أكاديمية تتناول اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان، لكن وجدت دراسة وحيدة تتحدث عن سيرة الشيخ طاهر الجزائري، ولاسيما أفكاره في مجال السياسة والتعليم والتربية والإصلاح، والتي هي تحت عنوان "طاهر الجزائري ودوره في التعليم والحركة العربية في بلاد الشام"¹.

منهج البحث:

من أجل الوصول للأهداف المسطرة في بداية البحث، اقتضت طبيعة الدراسة استعمال عدة مناهج أهمها ما يأتي:

المنهج الوصفي: واعتمدت عليه في المبحث الأول والثاني في ترجمة المؤلف والتعريف بالكتاب.

¹ رسالة ماجستير بعنوان طاهر الجزائري ودوره في التعليم والحركة العربية في بلاد الشام للباحثة سناء رفعت محمد الرفاعي، الجامعة الأردنية، 1997م.

المنهج الاستقرائي والتحليلي: فقد اعتمدت عليه في المبحث الثالث. فالاستقرائي باستقراء الثلاث فصول الأولى باستخراج الاختيارات منها. أما المنهج التحليلي، فقد اعتمدت عليه بتحليل الاختيارات من خلال مناقشة الأقوال وذكر القول الراجح منها.

طريقة عملي في البحث:

التزمت في كتابة بحثي منهجية معينة، أذكر فيما يأتي أهم عناصرها:

- 1- اعتمدت في هذه الرسالة على كتاب التبيان طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية ودار البشائر الإسلامية-بيروت، الطبعة الخامسة، 1433هـ بعناية عبد الفتاح أو غدة.
- 2- قمت بجمع أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في كتابه "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان".
- 3- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وذلك بذكر السورة ورقم الآية في المتن. وقد اعتمدت في كتابة الآيات على مصحف المدينة النبوية برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- 4- خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة من مظاهها، فإن كان الحديث في الصحيحين أكتفي بذلك، وإن كان في غيرها أقوم بتخريجه من كتب السنة الأخرى مع بيان درجته، وقد يتعذر علي أحيانا فأقوم بتخريجه دون بيان درجته، ويكون تخريجه في الهامش على النحو الآتي: ذكر صاحب المصنف ثم المصنف، الكتاب، الباب، رقم الحديث إن وجد، رقم الجزء والصفحة، ثم درجة الحديث. عند توثيق المعلومة في الهامش فإني أذكرها وفق الترتيب الآتي: اسم الكتاب، المؤلف، من حقّقه إن وجد، دار النشر، مكان النشر، تاريخ النشر رقم الطبعة، الجزء، الصفحة.
- 5- إن عاودت النقل من كتاب أكتفي بذكر: اسم الكتاب، مرجع سابق، الجزء، الصفحة.
- 7- إذا ذكرت الكتاب ثم أعدت ذكره بعده مباشرة، فإني أشير إليه بالمرجع نفسه.
- 8- عزوت الأقوال المنسوبة إلى قائلها، مع الحرص على أخذها من مصادرها.
- 9- ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في المتن حسب الضرورة التي يقتضيها البحث فقط، وذلك في أول موضع يرد فيه اسم العلم، ولم ألتزم في بقية المواضع بالإشارة إلى تقدم ترجمة العلم.
- 10- أما طريقة عملي في المبحث الثالث، الذي هو محور الدراسة فقد كان على النحو الآتي:
 - أ- ترتيب المواضع التي وقع فيها الاختيار حسب ورودها في الكتاب.
 - ب- ذكر مجمل الأقوال في المسألة.

- ج- ذكر أصحاب كل قول وأدلتهم.
 د- ذكر اختيار الشيخ طاهر في المسألة.
 هـ- مناقشة الأقوال.
 و- بيان القول الراجح.
 11- جعلت للبحث خاتمة بينت فيها أهم النتائج المتحصل عليها، وبعض التوصيات.
 12- قمت بتذييل البحث بفهارس عامة مرتبة على النحو الآتي:
 أ- فهرس الآيات القرآنية (حسب ترتيب السور في المصحف).
 ب- فهرس الأحاديث النبوية والآثار (مرتبة حسب الترتيب الأبجدي).
 ج- فهرس الأعلام المترجم لهم (مرتبة حسب ودها في البحث).
 د- فهرس المصادر والمراجع (مرتبة حسب الترتيب الأبجدي).
 هـ- فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

وتضمن هذا الموضوع مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، بالإضافة إلى فهارس عامة. تحدثت في المقدمة على أهمية الموضوع وأهدافه، وأسباب اختياري له، والإشكالية المراد الإجابة عليها في ثنايا البحث، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث، وأهم الخطوات التي سرت عليها، أما المبحث الأول تناولت فيه التعريف بالشيخ طاهر الجزائري، والذي بدوره يجوي ثلاثة مطالب: في المطلب الأول تحدثت عن حياته الشخصية فذكرت اسمه ونسبه وولادته، رحلاته ووفاته، سماته الخلقية والخلقية. أما المطلب الثاني فيخص حياته العلمية وتناولت فيه نشأته العلمية وشيوخه، سماته العلمية وثناء العلماء والمفكرين عليه، تلاميذه وأثره فيهم، اشتغاله بالتأليف ومؤلفاته. وذكرت في المطلب الثالث حياته المهنية والدعوية، يتحدث عن اهتمام الشيخ طاهر بالنشاط العلمي والتعليمي واشتغاله بالنشاط الدعوي والاجتماعي.

أما المبحث الثاني فهو التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن" وفيه ثلاثة مطالب. المطلب الأول عنوانته بتسمية الكتاب وموضوعاته ومصادره وتناولت فيه: تسمية الكتاب وموضوعاته، مصادره. المطلب الثاني تناولت فيه منهج الشيخ طاهر في كتابه التبيان. المطلب الثالث يتكلم عن أهم المميزات و المآخذ على الكتاب.

يعتبر المبحث الثالث المبحث التطبيقي، درست فيه أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم



القرآن في كتابه التبيان في خمسة مطالب. المطلب الأول: اختياره في بيان المكي و المدني، أما المطلب الثاني تناولت فيه اختياره في ذكر أول ما نزل من القرآن، في المطلب الثالث درست فيه اختياره في مكية أو مدنية سورة الفاتحة، وفي المطلب الرابع درست فيه اختياره في كيفية نزول القرآن، أما المطلب الخامس والأخير عرضت اختياره في نزول القرآن على سبعة أحرف. وفي آخر البحث ذكرت خاتمة، وفيها أهمّ النتائج المتوصل إليها والتوصيات.

مصادر البحث:

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع، ففي المبحث الأول وعند حديثي على التعريف بالشيخ طاهر الجزائري، اعتمدت على "الأعلام للزركلي"، "الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث" لحازم زكريا محيي الدين، "كنوز الأجداد" لمحمد كرد علي، مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام لهاني المبارك.

وفي المبحث الثاني وعند حديثي على التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن" اعتمدت على الكتاب نفسه ومقدمة المعتمدين به عبد الفتاح أبو غدة.

أما في المبحث الثالث، فاعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع، أذكر منها: كتاب "التبيان"، "صحيح البخاري"، "صحيح مسلم"، "سنن الترمذي"، "مسند الإمام أحمد"، "تفسير الطبري"، "تفسير بن كثير"، "فضائل القرآن" للقاسم بن سلام، "تفسير الكشاف" للزخشري، "تفسير القرطبي"، "فتح الباري" لابن حجر، "البرهان في علوم القرآن" للزركشي، "جمال القرآن وكمال الإقراء" لعلم الدين السخاوي، "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي، "مناهل العرفان في علوم القرآن" للزرقاني، "المحرر في علوم القرآن" لمساعد الطيار، "دراسات في علوم القرآن الكريم" لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، "مباحث في علوم القرآن" لمناع القطان، "حديث الأحرف السبعة" لعبد الفتاح القارئ... .

صعوبات البحث:

لا يخلو أي بحث علمي من صعوبات تعترض الطالب، ولكنها تقل وتكثر على حسب طبيعة الموضوع وكذلك الدرجة العلمية للباحث. ولقد اعترضني بعض الصعوبات في استخراج اختيارات الشيخ الطاهر في علوم القرآن من كتابه التبيان، ثم مناقشتها بذكر الأقوال وأصحابها وأدلتهم في المسألة والخروج في الأخير بالقول الراجح.

المبحث الأول:
التعريف بالشيخ طاهر الجزائري

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حياته الشخصية

المطلب الثاني: حياته العلمية

المطلب الأول: حياته الشخصية

يعد الشيخ طاهر الجزائري من الشخصيات المحورية التي صنعت النهضة واليقظة في البلاد العربية في القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين، وتميز بكونه أستاذاً وموجهاً لعدد كبير من الشخصيات الإصلاحية وبكونه رائداً في إقامة المؤسسات الثقافية والتعليمية حتى تستمر هذه الجهود ولا تتوقف بوفاة، رغم كونه فرداً وليس مؤسسة ولا صاحب سلطة، وهو يصدر في مشروعه الفكري من الانتماء لهوية الأمة وعقيدتها، والاعتزاز بتراث الآباء والأجداد مع انفتاح على ما عند الآخرين. لكنه لم يشتهر ويعرفه للناس على غرار أقرانه، وقد يكون هذا لعدة أسباب منها كونه كان في الشام بما كانت تعيشه من جهل وظلم، وهم كانوا تحت الأضواء في القاهرة، ومنها كونه سلفي التوجه والمشرب، ومنها قلة انتشار مؤلفاته المطبوعة لليوم وكونه صاحب مشاريع عملية.

الفرع الأول: اسمه ونسبه وولادته

أولاً: اسمه: طاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقي.¹

ثانياً: نسبه: السمعوني الوغليسي الجزائري الدمشقي الحسني. أما نسبه على سمعون فهي قبيلة جزائرية كانت تقيم في منطقة القبائل قرب بجاية، وأما نسبه إلى وغليس فهو واد نسب إليه بنو وغليس، أو أن الوادي سمي باسمهم، وأما نسبه إلى دمشق فلأنها كانت وطنه الثاني حيث ولد فيها وعاش وتوفي فيها، وتنسب أسرته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ولهذا عرف بالحسني. أما والد الشيخ طاهر وهو الشيخ صالح فقد هاجر من الجزائر بعد نفي الأمير عبد القادر الجزائري إلى فرنسا على إثر توقف ثورته، وكانت هجرة الشيخ صالح مع مجموعة من شيوخ الجزائر وعلمائها إلى بلاد الشام، وعرفت هذه الهجرة بالهجرة المشايخ وكانت سنة 1263هـ / 1847م.²

¹ - الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، لا.م، أيار/مايو 2002 م، الطبعة الخامسة عشر، (3/221-222).

² - مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المرابي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، هاني المبارك، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 108، 1428هـ/2008م، ص15.

ثالثاً: ولادته: ولد الشيخ طاهر الجزائري في دمشق ليلة الأربعاء الموافقة للعشرين من شهر ربيع الثاني سنة (1268هـ / 1852م).¹

الفرع الثاني: رحلاته ووفاته

أولاً: رحلاته:

أ. أسفاره: أدرك الشيخ طاهر الجزائري أهمية الرحلة والأسفار، وما يعود على المرء منها من زيادة في خبرته، وسعة في معارفه، واستنارة في أفكاره، فجاب القرى والمدن في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر والحجاز وتركيا وفرنسا، باحثاً عن الفائدة، مفتشاً عن الكتب، حريصاً على لقاء العلماء، باذلاً في الوقت نفسه كلّ ما تحصل لديه من علم ومعرفة وخبرة، داعياً إلى كل ما يؤمن به من قيم وأفكار تجديدية، محرّضاً الناس في كل مكان حل فيه على افتتاح المدارس وتأسيس المكتبات العامة.²

ب. إقامته في مصر: خلال رحلة قام بها الشيخ طاهر إلى مدينة القدس علم أن رجال الأمن الأتراك قد فتشوا داره في دمشق فأخذ حذره وتوارى عن الأنظار فترة من الزمن كان خلالها ينتقل سراً مفكراً بالهجرة من بلاد الشام، فوجد أخيراً أن خير بلد يهاجر إليه مصر، لبعدها عن قبضة الدولة العثمانية بعد أن كانت قد احتلتها بريطانيا منذ عام 1882م. ونجح بالإفلات من قبضة مخبرات السلطة العثمانية عام 1325هـ/1907م ووصل إلى القاهرة حاملاً معه ما استطاع حمله من كتب ومخطوطات نادرة، وأقام في بيت متواضع في حي عابدين، وكان يشتري بعض الكتب ويبيعها بريح بسيط ليعيش به. وكانت تأبى عليه عزة نفسه أن يقبل أية معونة أو مساعدة، وكان يملك أنفوس المخطوطات وربما كان بينها مخطوط وحيد في العالم، ومن ميزاته التي عرف بها أنه كان لا يبيع كتبه ومخطوطاته إلا لجهة يضمن فيها النفع العام، كالمكتبة التيمورية أو المكتبة الوطنية في القاهرة. وقد عاتب صاحب جريدة المؤيد لأنه بذل وساطة لدى الخديوي ليجري راتباً شهرياً للشيخ طاهر ليعيش منه. وقال له: "الأحسن يا أستاذ ألا تعرض نفسك لما قد يسود وجهك بسببي ولا حاجة بي إلى الرواتب ولا إلى الوظائف."³

¹ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، حازم زكريا محيي الدين، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1421هـ/2001م، الطبعة الأولى، ص 19.

² - المرجع نفسه، ص 51-52.

³ - مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص 20.

ثانيا: وفاته: توفي يوم الإثنين 14 من ربيع الآخر سنة 1338هـ/1920م بعد ثلاثة أشهر من عودته من مصر¹. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين خيرا ما يجزي به مصلح عن أمته. ولم يتزوج في حياته قط لانشغاله بالعلم ومطالعة الكتب². وكان يقول وهو على فراش الموت "عدّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأمة منهم، ولا تُنفروهم، لئلا يزهّدوا في خدمتكم"³.

الفرع الثالث: سماته الخلقية والخلقية

أولا: سماته الخلقية: كان رحمه الله حسن الطلعة، معتدلاً القامة والجسم، حنطي اللون، واسع الجبهة، أسود الشعر والعينين، يضع عليهما منذ أربعين سنة نظّارة، ذا لحية كثيفة، عصبي المزاج، سريع الحركة، واسع الخطوة⁴.

ثانيا: سماته الخلقية:

أ. تدينه: كان الشيخ معتصما بدينه، متمسكا بأحكامه، لم يُعهد عليه منكر، ولم تؤثر عنه فاحشة، ولم يعرف عنه أي تساهل في تنفيذ أحكام الإسلام وشرائعه، فقد كان مواظبا على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وقد أدّى فريضة الحج. وكان رغم فقره وضيق ذات يده، يُؤثر الفقراء والمساكين على نفسه، ويتصدّق عليهم في السر. وكان حريصا على إقامة شعائر الإسلام التي كان، وخصوصا الصلاة، فقد كان محافظا عليها في أول أوقاتها، مهما حالت دونه الموانع، فقد زار العارض في باريس، فكان إذا أدركته الصلاة صلى في الحديقة العامة لا يبالي بانتقاد الناس هناك، ولا استغرابهم حركاته وسكناته.

ب. زهده وعزته: كان لا يعرف الرفاهية والنعيم، ولا يبالي بطيب المطعم ولين المضجع، وفاخر الأثاث، وكان يرتدي الملابس البالية من غير تأنّق ولا زينة، وكانت جيوبه مليئة على الدوام بالرسائل و الدفاتر والجرائد والأوراق، كأنه مكتبة متنقلة حرصا منه على اغتنام الوقت كلّما سرح له ذلك. ولم يُعرف عنه أنه مالى ظلما يبتغيه، ولم يصحب غنيا للانتفاع بغناه، وكان يُؤثر عدم الظهور، ولا تهمّه

¹ - عجمٌ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م، ص101.

² - مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المربي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص21.

³ - كنوز الأجداد، محمد كرد علي، دار أضواء السلف، لا.م، د.ت، لا.ط، ص25.

⁴ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص29.

الشهرة من أي طريق أتت، لأنه كان يهزأ في باطنه بكل مظاهر الأبهة والرفعة.

ج. شعوره بالآخرين: كان الشيخ على درجة رفيعة من الإحساس بالآخرين، فكان يأرق لجاره أو صاحبه إذا علم أنه أصيب بمصيبة في ماله أو أهله. وكان يهرع إلى مواساته بكل ما تملكه يداه.¹

¹ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 30-32.

المطلب الثاني: حياته العلمية

يعتبر الشيخ طاهر نموذجًا فريدًا بين المعلمين والمربين والمفكرين والدعاة ومفخرة من مفاخر هذا الشرق وإمام نابغة بعلوم الدين والدنيا وحامل لواء المعرفة.

الفرع الأول: نشأته العلمية وشيوخه

كانت بداية تعلم الشيخ طاهر على أبيه الشيخ صالح، فدرس عليه علوم الشريعة واللغة، وكان والده من علماء الجزائر فهو فقيه اشتهر بعلم الفلك وعلم الميقات وله رسالة في هذا العلم، كما له معرفة وميل إلى علوم الطبيعة والرياضيات، وكان مفتي المالكية في دمشق لأن معظم المهاجرين الجزائريين كانوا على المذهب المالكي. ثم دخل مدرسة رشدية (ابتدائية)، وبعدها التحق بالمدرسة الجقمقية¹ الإعدادية، ودرس عند الشيخ عبد الرحمن البوسنوي، والذي كان له أثر بالغ في شخصية طاهر الجزائري، فأخذ عنه العربية، والفارسية، والتركية، وتبحر في العلوم الشرعية. ثم لازم أستاذه الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني²، وكان معجبًا به، فأخذ عنه بعض عاداته وأخلاقه، كالولع بالمطالعة والبعد عن حب الظهور والبدع والتمسك بلباب الدين ومعرفة أسرار الشريعة وكراهية التعصب والجمود. فكان أثر هذا الأستاذ الفاضل كبيرًا في تلميذه الشيخ طاهر.³

لم يغفل الشيخ خلال سني الدراسة عن درس العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية، أخذها عن علماء من الترك وغيرهم فكان إذا رأى أعلم منه بفن أخذ عنه فنّه، وأفاده فيما لا يحسنه من فنون العلم. ولم يبلغ الثلاثين من عمره حتى أتقن العربية والفارسية والتركية ونظم بالفارسية كالعربية. وكان نظمته بالعربية أرقى من شعر الفقهاء ودون شعر الشعراء وألف السجع لأول أمره ثم تحلى عنه، وأصبح يكتب المرسل بلا تكلف، وتعلم الفرنسية والسريانية والعبرية والحبشية

¹ - وهي مدرسة معروفة الآن ومشهورة واقعة شرق الحديقة التي بما قبة صلاح الدين الأيوبي بدمشق سوريا، والذي أنشأها أولاً إنما هو سنجر الهلالي وولده شمس الدين الصائغ والملك الناصر حسن ثم جدها ورمها النائب سيف الدين جقمق فنسبت إليه ينظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ص 160.

² - عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني، فاضل من فقهاء الحنفية ولد عام 1222هـ/1807م. نسبته إلى محلة الميدان بدمشق. له " اللباب " فقه، في شرح القدوري، و" كشف الالتباس " في شرح البخاري، و" شرح العقيدة الطحاوية" وشروح ورسائل في "الصرف " و" التوحيد ". توفي عام 1298هـ/1881م. ينظر: الأعلام، (4/33-34)، والإعلام بتصحيح كتاب الأعلام، ص 83.

³ - ينظر: الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 21-22، ولمقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المرابي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص 16.

والقبائلية البربرية لغة أهله الأصلية.¹

الفرع الثاني: سماته العلمية وثناء العلماء والمفكرين عليه

أولاً: سماته العلمية:

بحق ما قيل في الشيخ أنه معلّم (انسيكلوبيديا) سيارة أو خزانة علم متنقلة. وكيف لا يكون كذلك من آتاه خالقة حافظة قوية وذهنا وقادا وعقلا يستعمله. فقد قرأ جميع ما طالت يده من الكتب العربية التي طبعت في الشرق والغرب. أما المخطوطات التي طالعها ولخصها في كنانيشه وجزازاته فتعد بالمئات. وقلّ أن يدانيه أحد في علم الكتب ووصفها ومؤلفيها وأماكن وجودها وما عرض لها. ولطالما رحل من بلد إلى بلد بعيد ليطلع على مخطوط حفظ في بعض الخزائن الخاصة.²

كان الشيخ متضلّعا في علوم الشريعة وتاريخ الملل والنحل، منقطع القرين في تاريخ العرب والإسلام وتراجم رجاله ومناقشات علماءه ومناظراتهم وتآليفهم ومراميمهم. ساعده على التبريز في هذا المضمار قوة حافظته التي لا تكاد تنسى ما يمر بها مهما طال العهد. وكان إماما في علوم الأدب واللغة، إذا سألته عن حل مسألة تظن الشيخ لا يعرف غير هذا العلم، وإذا استرشدته في الوقوف على مظان موضوع تريده أطلعك من ذلك في الحال على ما لا يتيسر لغيره الظفر به بعد الكشف عنه أياما. وهكذا هو في علوم الشريعة ولا سيما التفسير والحديث والأصول. وكان يعرف السياسة وما ينبغي لها، وحالة الغرب واجتماعه، والشرق وأممه وأمراضه معرفة أخصائي. ولا يكاد جليسه يصدق إذا بدأ الشيخ يتكلم في هذه الموضوعات، خصوصا إذا كان غربيا، أن مُحدّثه شيخ من شيوخ المسلمين يعيش في أمة قد لا تقيم وزنا لهذه المعارف.³

من كل ما سبق نرى أنّ الشيخ استوعب جملة معارف عصره القديمة والحديثة، وأعاد بذلك إلى الأذهان نماذج كبار علماء الإسلام، الذين استوعبوا ثقافات عصرهم، وتمثلوها بشكل كامل، من أمثال ابن خلدون الذي كان فقيها، وقاضيا، ومؤرخا، وعالما بالسياسة والاجتماع في الوقت نفسه.⁴

¹ - كنوز الأجداد، مرجع سابق، ص 6.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - المرجع نفسه، ص 25.

⁴ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 29.

ثانيا: ثناء العلماء والمفكرين عليه:

يقول عنه الشيخ القاسمي¹ "...وكان أرسل الشيخ طاهر لي مع أخي قاسم والشيخ حامد مرتين، من منشورات كتب خطية متنوعة وكراريس، ففترغت طول النهار لمطالعة جانب منها، فوجدت من الغرائب والأساليب الممنوعة في التصنيف للمتقدمين ما يدهش. ولما سهر عندي الشيخ شكرته على ذلك. ورأيته يأتي لكل ورقة بترجمة، ويبين غرائب موضوعها، وأهمية فائدتها ويستنبط لقوة ذكائه وفطنته مؤلفها، وإن كانت مخرومة. وبالجملة فالشيخ طاهر أعجوبة في عصره في الذكاء، وفي التنقيب على الآثار العلمية، فهو شيخها في عصره بلا ريب، بل وفيما قبل عصره."²

يحدثنا عنه الأستاذ أنور الجندي فيقول: "والحق أن الشيخ طاهر الجزائري العملاق لم يكن قوي الأثر في هذه المجموعة من رجال الشام وحدها، ولكنه كان عميق الأثر في المجموعة التي عرفها وعاشرها في القاهرة خلال حوالي أربعة عشر عاماً أقامها في مصر. وقد ألهم وجدان من عاشره وخاصة الأحمدان، أحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا الملقب بشيخ العروبة، ليس بأسلوبه وحديثه فحسب لكنه بأسلوب عيشه ونظام حياته."³

الشيخ علي الطنطاوي رحمة الله عليه يقول فيه: "هذا رجل لا يكفي للحديث عنه مقالة ولا رسالة، لأن له في كل مظهر من مظاهر الحياة في الشام اليوم أثراً، وفي كل ناحية من نواحي الإصلاح عملاً، ولأنه باعث نهضة، وكان معلم جيل. هل هلال النهضة العربية في بلاد الشام، ومن الشام (ساحله وداخله)، انبعثت أنوارها حتى ملأت دنيا العرب فكانت نهضة عربية إسلامية، حفزت العرب إلى الزهو بمجد آبائهم، والعمل على إعادة ذلك المجد. تسلحوا لها بالعلم، وكان الشيخ من أوائل من رغب فيه، ودفع إليه."⁴

¹ - إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعا من فنون الأدب. ولد بدمشق عام (1283هـ/1866م). كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. نشر بحثا كثيرة في المجلات والصحف. اطلعت له على اثنين وسبعين مصنفا، منها (محاسن التأويل) في 17 مجلدا في تفسير القرآن الكريم. توفي في دمشق عام 1332هـ/1914م. ينظر: الأعلام، (2/135).

² - جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1385هـ/1966م، الطبعة الأولى، ص432.

³ - مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المرابي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص20.

⁴ - رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، دار البشير للثقافة-دار المنارة، جدة، 1997م، الطبعة السابعة، (2/127).

الفرع الثالث: تلاميذه وأثره فيهم

لقد ارتبط الشيخ طاهر بعلاقة أبوة علمية وروحية بعدد من نوابغ الشباب آنذاك، أمثال: محمد كرد علي¹، محمد سعيد الباني²، محب الدين الخطيب³.

ولقد غرس الشيخ طاهر الجزائري في تلامذته من الأخلاق ما نحن بأمس الحاجة إليه من الجرأة في الحق والبعد عن الرياء والمداهنة والنفاق، والحرص على التقيد بالمواعيد وعدم إضاعة الوقت، والتمسك بلباب الدين والبعد عن التعصب والجمود وحب الحرية والاعتماد على النفس والدعوة إلى الاقتباس من حضارة الغرب ما فيه فائدة للأمة والبعد عن اقتباس الفاسد من تلك الحضارة⁴.

حدثنا الأستاذ محمد كرد علي (أول رئيس لمجمع اللغة العربية في دمشق) عن علاقته بأستاذه الشيخ طاهر، يقول: "وكان العامل الأكبر في توجيه إرادتي نحو الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، والإقدام على التأليف والنشر، وإشرابي محبة الأجداد، والتناغمي بآثارهم، والحرص على تراث حضارتهم، أستاذي الأكبر الشيخ طاهر الجزائري، فما زلت ألزمه منذ اتصلت به، والحرص على تراث حضارتهم، أستاذي الأكبر الشيخ طاهر الجزائري، فما زلت ألزمه منذ اتصلت به إلى أن ذهب إلى ربه".⁵

وأما الشيخ محمد سعيد الباني فقد بلغ من تأثره وإعجابه بالشيخ طاهر، أن صنّف كتابا في سيرته بعد وفاته، قال فيه بعد أن ذكر ما ذكر من أخبار وآثاره وأفكاره: "وصفوة القول: إنّه كان من

¹ - هو محمد بن عبد الرزاق، كُرِّد علي، من كبار كتاب العالم الإسلامي، أصله من أكراد الموصل، ولد بدمشق سنة 1293هـ، وهو مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق، وصاحب مجلة "المقتبس"، له مؤلفات كثيرة منها: غرائب الغرب، ودمشق مدينة السحر والشعر وغابر الأندلس وحاضرها، توفي بدمشق سنة 1372هـ. ينظر: الأعلام، 203-202/6-204.

² - هو الشيخ محمد سعيد بن عبد الرحمن الباني الدمشقي، أديب ورجل من كبار رجال الإصلاح والتحرر في العالم الإسلامي، ولد بدمشق سنة 1294هـ، وبها تفقه وتأدب، دعواته للإصلاح والتحرر أدت به إلى السجن والنفي عدّة مرات، من مؤلفاته: تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، والفرقدان النيران في بعض المباحث المتعلقة بالقرآن والمولد النبوي الشريف، توفي بدمشق سنة 1351هـ. ينظر: الأعلام، 143/6.

³ - هو محب الدين محمد بن عبد القادر الخطيب، كاتب إسلامي، ولد بدمشق سنة 1303هـ، كان له دور في إنشاء العديد من الجمعيات، جاب الكثير من البلدان فرار من الإنكليز والفرنسيين وحكم الأتراك، من مؤلفاته: تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس وذكرى موقعة حطين والرعيّل الأول في الإسلام، توفي سنة 1389هـ. ينظر: الأعلام، 282/5-283.

⁴ - مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المرئي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص 21.

⁵ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 43.

أعظم أركان النهضة العلمية والحركة الفكرية في البلاد السورية خصوصا دمشق...¹

وهذا محب الدين الخطيب في حديثه عن شيخه طاهر الجزائري رحمه الله يقول: "من هذا الشيخ الحكيم عرفت عروبي وإسلامي، منه عرفت أن المعدن الصديء الآن الذي برأ الله منه في الدهر الأول أصول العروبة ثم تخيرها ظمرا للإسلام إنما هو معدن كريم لم يبرأ الله أمة في الأرض تدانيه في أصلاته وسلامته وصلابته وعظيم استعداده للحق."²

الفرع الرابع: اشتغاله بالتأليف ومؤلفاته

أولاً: اشتغاله بالتأليف: بدأ الشيخ التأليف في عهد فتوته وشبابه، فقد اعتنى في هذه الفترة بحكم الوظيفة التي شغلها مفتش عام المدارس الابتدائية في ولاية سورية بتأليف كتب مدرسية للأطفال والمبتدئين بشكل عام، حاول في هذه الكتب تقديم المعارف العلمية المتنوعة من دينية وطبيعية بأسلوب سهل ومبتكر، خال من الحشو والتعقيد. وقد أراد من وراء ذلك أن تكون هذه الكتب بمثابة الأسس التي تُبنى عليها قواعد العلم، وترفع قوائمه، وأغلب الظن أنه أراد أيضا من وراء تصنيفه لكتب دينية طبيعية في وقت واحد، إلغاء التفرقة الجائرة المصطنعة التي كانت قائمة حينئذ بين علوم الدين والدنيا، والتي لم يحصل المسلمون منها إلا كل شر مستطير. أما مؤلفاته ومختصراته ونشراته العلمية وكناشاته، فهي تعود في معظمها إلى عهد كهولته وشيخوخته.

ثانياً: مؤلفاته:³

ترك الشيخ مجموعة كبيرة من الآثار التي تدل على مدى علمه وطريقة تفكيره، وتبين أفكاره وآرائه في مواضيع مختلفة. ويمكن توزيع مؤلفاته ومختصرات الشيخ على العلوم الرئيسة التالية: العلوم الدينية، والعلوم اللغوية والأدبية، والعلوم الطبيعية.

1. مؤلفاته الدينية:

أ. التفسير الكبير (مخطوط) في أربعة مجلدات.

ب. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان. (مطبوع)، وهذا الكتاب الذي سيكون محل الدراسة.

¹ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 43.

² - محب الدين الخطيب، ممدوح فخري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، محرم 1390 هـ، الطبعة: العدد الثالث-السنة الثانية، ص 153.

³ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 63-68.

- ج. توجيه النظر إلى علم الأثر. (مطبوع)
د. الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية. (مطبوع)
هـ. الجوهرة الوسطى من الجواهر الكلامية. (مخطوط)
و. العقود اللآلي في الأسانيد العوالي. (مطبوع)
ز. مبتدأ الخبر في مبادئ علم الخبر.
ح. مئنة الأذكيا في قصص الأنبياء.
2. مؤلفاته اللغوية والأدبية: وهي كثيرة ومتنوعة، منها:

- أ. إتمام الأنس في عروض الفرس. (مطبوع)
ب. إرشاد الألباء إلى طريق تعليم ألف باء. (مطبوع)
ج. أشهر الأمثال. (مطبوع)
د. بديع التلخيص وتخليص البديع. (مطبوع)
هـ. التسهيل المجاز إلى فني المعمي والألغاز. (مطبوع)
و. التقريب إلى أصول التعريب. (مطبوع)
ز. تمهيد العروض إلى فنّ العروض. (مطبوع)
ح. حدائق الأفكار في رقائق الأشعار. (مطبوع)
ط. شرح ديوان خطب ابن نباتة. (مطبوع)
ي. ميزان الأفكار شرح معيار الأفكار. (مطبوع)

3. مؤلفاته في العلوم الطبيعية:

- أ. دائرة في معرفة علم الحساب. (مطبوع)
ب. الفوائد الجسام في معرفة خواصّ الأجسام. (مطبوع)
ج. مدّ الراحة لأخذ المساحة. (مطبوع)
د. مدخل الطلاب إلى علم الحساب. (مطبوع)

المطلب الثالث: حياته المهنية والدعوية

لاشك أن الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله أحد الشخصيات الكبيرة على مستوى الوطن العربي إذا نحن عددنا الرجال المصلحين في عصر النهضة الحديثة. كان الرجل مدرسة كبرى في التحديث والتطوير وإصلاح حال الأمة بما يحمل من فكر مستنير، وما يتطلع إليه من آفاق واسعة، لم يعهد مثلها في البلاد العربية إلا عند قلة قليلة من الرجال الذين نثرهم يد القدرة الإلهية في حالك الظلمات نجومًا تتلألأ في المشرق والمغرب.

الفرع الأول: اشتغاله بالنشاط العلمي والتعليمي

أولاً: اشتغاله بالتدريس: بدأ الشيخ طاهر حياته العملية معلماً في المدرسة الظاهرية الابتدائية، وهو في السادسة والعشرين من عمره، سنة 1294هـ/1878م، وانطلاقاً من هذه المدرسة، بدأ الشيخ طاهر يبت أفكاره الداعية إلى الإصلاح، والأخذ بأسباب العلم كخيار لا بديل عنه لانهاض المجتمع الإسلامي المشدود إلى الخلف بأسافين الجهل والتخلف.¹

ثانياً: الشيخ طاهر مفتشاً على المدارس الابتدائية: عُيّن الشيخ طاهر مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية، وهنا ظهرت حيوية الشيخ البناءة، إذ بدأ في هذه الفترة في تأليف عدد من كتب منهاج الصفوف الابتدائية في العلوم الدينية والعربية والرياضية والطبيعية، ووضع برامجها لها. وقد أخذ الشيخ طاهر على نفسه أثناء تفتيشه على المدارس، وتعليم المعلمين أصول التدريس، وإعانتهم على حل المشاكل التي كانت تواجههم أثناء تعليمهم، مما جعله صديقاً مقرباً من معلمي دمشق في ذلك العهد. أما نشاطه الأهم في هذه الفترة فهو إقناعه الآباء بوجوب إرسال أولادهم إلى المدارس ليتعلموا، ولا يخفى ما في هذا الأمر من تنشيط كبير للحركة التعليمية في سوريا.²

¹ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 36-37.

الفرع الثاني: اشتغاله بالنشاط الدعوي والاجتماعي

عاش طاهر الجزائري إبان احتلال أوروبا لكثير من بلاد الإسلام بسبب حالة الضعف والهزيمة بسبب شيوع الجهل والخرافة وعجز الدولة العثمانية، ولذلك اجتهد في دراسة حال الأمة وكيفية العمل على إصلاحها، وتوصل إلى أن العلم هو مفتاح النهضة للأمة، العلم الشرعي الصحيح الذي يحيي روح الأمة وقلبها، والعلم الدنيوي السليم الذي يعالج جسدها وأعضائها. ويمكن أن نعدد مظاهر إصلاح الشيخ العلمي في:

أولاً: دوره في الجمعية الخيرية الإسلامية: اجتمع الشيخ طاهر والشيخ علاء الدين عابدين مع بهاء الدين مكتوبجي الولاية (أي أمين السر العام للوالي)، واتفقت كلمتهم على تأسيس جمعية علمية اجتماعية، أطلقوا عليها اسم (الجمعية الخيرية الإسلامية) وقد انتظم في عداد أعضاء هذه الجمعية نخبة علماء وأعيان دمشق في ذلك الوقت، وقد تولى رئاستها الشيخ علاء الدين عابدين. وقد حظيت الجمعية الخيرية بعد تأسيسها بتشجيع ودعم الوالي مدحت باشا ما سهل عليها مهمتها في الاستيلاء على بعض المدارس الموقوفة على طلب العلم، وعلى ملحقات بعض الجوامع، التي كان يحتلها بعض المتفقدين، وذلك من أجل ترميمها وتجهيزها لتكون مدارس حديثة على شاكله مدارس الدولة العثمانية. وقد تمكنت الجمعية بالفعل من افتتاح ثماني مدارس للذكور ومدرستين للإناث، إدراكاً منهم لضرورة تعليم النساء، وإفساح المجال أمامهنّ للمشاركة في بناء الأمة.¹

ثانياً: في قطاع المكتبات العامة: بعد أن لاحظ الشيخ طاهر الجزائري إهمال عدد من المشرفين على دور الكتب الوقفية في المساجد والمدارس من جهة، وزهد كثير من أهل دمشق بكنوز مكتبات المنازل، سعى مع عدد من رفاقه لدى والي دمشق، مدحت باشا، لتكوين مكتبة عامة تجمع الكتب المخطوطة والنادرة في مكان واحد، وفعلاً تم في سنة 1296هـ / 1880م تأسيس المكتبة الظاهرية كأول مكتبة عامة في تاريخ دمشق الحديث، وذلك في مقر المدرسة الظاهرية، والتي أصبحت من أهم المكتبات التي تحتوي على المخطوطات العربية والإسلامية، وعين أميناً لها الشيخ أبو الفتح الخطيب من رجالات دمشق وهو والد العلامة محب الدين الخطيب صاحب المكتبة والمطبعة السلفية.

استمر الشيخ طاهر بتزويد المكتبة الظاهرية بما تقع يده عليه من نفائس الكتب والمخطوطات، ويحث الناس على شراء الكتب وإهدائها إلى المكتبة.

¹ - الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 33-35.

الإدراك المبكر للشيخ لأهمية الضبط البيولوجرافي، سعى في تصنيف وطباعة فهارس للمكتبة الظاهرية، مما شهرها بين العلماء والطلاب والمستشرقين وجعلهم يفتدون إليها أو يرسلون الجزائري مراسلات خاصة ليطلبوا منه مخطوطات بعينها للاستفادة من ذخائرها.

وحرص الشيخ طاهر على أن تكون هناك مكتبة عامة في كل مدينة، ولذلك كان في جولاته الدعوية لخمص وحماة وطرابلس وغيرها من المدن يحث الناس على تأسيس المكتبات والمدارس. وبسبب هذا الحرص تم تعيينه أيضاً مفتشاً في سنة 1880م على خزائن الكتب في ولاية سورية ومتصرفية القدس، وفي زيارته للقدس حث الشيخ راغب الخالدي على إنشاء المكتبة الخالدية في القدس، وعاونه في ذلك ووضع لها فهرساً خاصاً.¹

ثالثاً: أثر الشيخ طاهر على العلماء والشباب: من أبرز نتائج جهود الشيخ طاهر الجزائري أنه صنع جيلاً من الشباب أصبح فيما بعد من قادة النهضة واليقظة، وكان لهم بالغ الأثر في بلادهم ومجتمعاتهم، مثل: محمد سعيد الباني، ومحمد كرد علي، ومحب الدين الخطيب، مما يدل على نجاح أسلوب الشيخ طاهر، وعلى الأثر الكبير الذي خلفه وراءه في نفوس الشباب.

فقد كان الشيخ طاهر يقيم اجتماعاً أسبوعياً بعد صلاة الجمعة في منزل رفيق العظم، عرفت باسم حلقة طاهر الجزائري يحضرها كبار علماء دمشق مثل: الشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ جمال القاسمي، والشيخ سليم البخاري، والشيخ أبو الخير عابدين، والشيخ عبد القادر بدران، وعدد من الشباب الواعد أمثال: محمد علي مسلم، ورفيق العظم، محمد كرد علي، أحمد النويلاتي، وشكري العسلي، وسليم الجزائري، وفارس الخوري، ومحب الدين الخطيب، وعبد الحميد الزهراوي، يتدارسون العلم والمعرفة ويبحثون في شؤون الأمة وقضاياها، عرفت باسم حلقة الشيخ طاهر، وبقيت تقام حتى بعد سفر الشيخ إلى مصر.

وننتج عن هذه الحلقة تواصل العلماء لحلول لبعض القضايا العلمية والمشاكل التي تعترض رفعة البلاد العربية، كما أنها جذّرت لدعوة الاجتهاد والبحث والنظر والعودة للكتاب والسنة وحرب الجهل والخرافة والبدع، وكانت تندد بالقمع والاستبداد وسوء الإدارة وتطالب بالحرية والعدل والنظام.

¹ - مقال بعنوان العلامة طاهر الجزائري، للدكتور أسامة شحادة، مجلة البيان، <http://albayan.co.uk>، 2017/05/28.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ طاهر الجزائري

وكان يستقبل الطلبة بغرفته بمدرسة عبد الله باشا ولا ييخل عليهم بالنصح والتوجيه، وأيضاً لما درس الشيخ طاهر الجزائري في مكتب عنبر والذي يعد أول ثانوية في دمشق، والتي تخرج منها قادة الشام وعلمائها، كان حريصاً على أن يكسب عقول وقلوب طلابه.

وكان يحث أهل الكفاءة على إنشاء الصحف السياسية والاجتماعية والمجلات العلمية والأدبية، ومطالعة الصحف والمجلات المفيدة.

ومما نُقل عن الشيخ طاهر في إرشاد المدرسين بكيفية التعامل مع الطلبة قوله: "إن جاءكم من يريد تعلم النحو في ثلاثة أيام فلا تقولوا له إن هذا مستحيل بل علموه، فلعل اشتغاله هذه الثلاثة الأيام بالنحو، تحببه إليه".¹

¹ - مقال بعنوان العلامة طاهر الجزائري، مرجع سابق.

المبحث الثاني:
التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث
المتعلقة بالقرآن"

ويشتمل على ثلاث مطالب:
المطلب الأول: تسمية الكتاب وموضوعاته ومصادره
المطلب الثاني: منهجه في الكتاب
المطلب الثالث: أهم المميزات و المآخذ على الكتاب

المطلب الأول: تسمية الكتاب وموضوعاته و مصادره

الفرع الأول: تسمية الكتاب

أشار الشيخ طاهر الجزائري في مقدمة كتابه الموجزة إلى تسميته فقال: " فهذا كتاب قصدت به تبيان بعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإِتقان".¹

وضَّح العلامة المحدِّث عبد الفتَّاح أبو غدَّة² عليه رحمة الله المعني بهذا الكتاب، على أن المؤلِّف لا يعني هنا بقوله: (الإِتقان): كتاب " الإِتقان في علوم القرآن" للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى، وإنما يعني بقوله: (على طريق الإِتقان): أي على طريق تحرير المباحث فيه وإحكامها وإتقانها دراسة وتمحيصاً.³

أمَّا أبو شُهبة عند تناوله لمؤلِّفات علوم القرآن، قال: "فمن المؤلِّفات التي اشتملت على كثير من أنواعه: كتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن" للعلامة المغفور له الشيخ "طاهر الجزائري"، فرغ من تأليفه سنة 1335هـ، وهو مختصر لبعض مباحث كتاب «الإِتقان» مع بعض زيادات طفيفة".⁴

ويحدثنا أيضاً عبد الفتَّاح أبو غدَّة، فيقول: "من الذين وجَّهوا عنايتهم لخدمة القرآن العظيم وعلومه في العهد القريب: الإمام العلامة المفسر المحدث الفقيه الأصولي اللغوي المتفنن الذوَّاقة الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله، فقد وجه عنايته إلى تفسير كتاب الله تعالى، وبذل فيه الوسع والطاقة حتى

¹ - التبيان، طاهر الجزائري، عناية عبد الفتاح أو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلامية ودار البشائر الإسلامية، بيروت، 1433هـ، الطبعة الخامسة، ص31.

² - عبد الفتاح أبو غدَّة، عالم وفقه سوري كبير، ولد في مدينة حلب عام 1336هـ، وهذا يطابق منتصف عام 1918م، وإن كانت الترجمات التي تكتب عن الشيخ تقول إن ميلاده كان عام 1917م، والله أعلم. درَّس في جامعة محمد بن سعود في الرياض، وفي المعهد العالي للقضاء، وعيِّن أستاذاً لطلبة الدراسات العليا، واثُدب أستاذاً زائراً في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان ولمعاهد الهند وجامعاتها، وشارك في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات الإسلامية في عدد من الدول، هذا فضلاً عن الدروس المسجدية. وقد أحصى له تلميذه البارع محمد آل رشيد ثلاثة وسبعين كتاباً، بين تحقيق وتأليف. توفي الشيخ سنة 1417هـ/1997م، عن عمر ثمانين عاماً. ينظر: مقال بعنوان عبد الفتاح أبو غدَّة شيخ سوريا الأول، محمد عادل فارس، <http://islamstory.com>، 2017/07/04.

³ - التبيان، مرجع سابق، ص31.

⁴ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبة السنَّة، القاهرة، 1423هـ، الطبعة الثانية، ص43-44.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"

أجزه وأكمله، وأرؤى به شوقه العلمي فألف "تفسير القرآن الحكيم"، على الوجه الذي رسمه لنفسه وارتضاه. وقد كان جديرا به أن ينهض بذلك، ويبلغ فيه المبلغ الحميد، لما آتاه الله تعالى من غزارة العلم، ونصاعة الفهم وسعة الاطلاع، وبُعد النظر، ومثانة الضبط و قوة الإتيان وتفنن المعرفة، وهذه صفات رفيعة قل أن تجتمع في العلماء المتأخرين. وجعل لهذا التفسير مقدمتين صغرى وكبرى، والمقدمة الصغرى كانت هذا الكتاب الذي سماه باسم "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"، وذيل هذا العنوان بقوله: "على طريق الإتيان". وقد تحقق هذا الوصف في هذا الكتاب، فكان بحق وجدارة تبيانا متقنا لأهم علوم القرآن، التي تتقدم الدخول في دراسته واستجلاء معانيه.¹

الفرع الثاني: موضوعاته

أودع الشيخ طاهر في هذا الكتاب زبدة ما وقف عليه من مباحث علوم القرآن الأصيلة، والموضوعات الهامة، والفوائد الدقيقة النادرة، بعيدا عن الحشو والفضول والمسائل المكررة التي اعتاد كثير من الكاتبين في علوم القرآن أن يملئوا بها تأليفهم. لقد انتخب العلامة الجزائري مباحث كتابه هذا انتحاب العالم العارف الذواق، والمحقق المتقن البصير، انتخبه من الكتب الكثيرة الوفيرة التي اطلع عليها مخطوطها ومطبوعها، واصطفى خالصة ما استحسنته منها، وكثير من تلك المخطوطات التي نقل منها حتى الآن غير معروفة الأسماء والمسميات للباحثين المعاصرين.²

واستوعب الشيخ في كتابه الذي قسمه إلى اثني عشر فصلا، أغلب الأنواع المهمة التي ذكرها السيوطي في الإتيان، وهي:

الفصل الأول: في بيان المكي والمدني من القرآن وما يناسب ذلك: ذكر فيه المصطلحات الثلاث في وصفهم القرآن بالمكي و مدني وذكر الفوارق بينهما، ثم ذكر المكي والمدني من السور وأقوال العلماء في ذلك وذكر أول ما نزل من القرآن وفيه ثلاثة أقوال وذكر آخر ما نزل من القرآن وذكر الأقوال في ذلك.

الفصل الثاني: في كيفية نزول القرآن وما يتعلق بذلك وفيه ثلاثة مسائل: المسألة الأولى في معنى إنزاله في شهر رمضان، وفي ليلة القدر. المسألة الثانية في أنه كان ينزل خمسة آيات وأكثر وأقل. المسألة الثالثة في كيفية نزول القرآن على النبي. وهل نزل عليه بلفظه أو بمعناه واللفظ من النبي؟

¹ - التبيان، مرجع سابق، قسم الدراسة، ص5-6.

² - المرجع نفسه، ص6.

الفصل الثالث: في نزول القرآن على سبعة أحرف وما يتعلق بذلك: ذكر الأحاديث الواردة في إنزال القرآن على سبعة أحرف وأن حديثها متواتر وذكر سبعة أقوال من أقوال كثيرة في المراد بالسبعة أحرف.

الفصل الرابع: في جمع القرآن وترتيبه: تناول جمع القرآن في الصحف في عهد أبي بكر وسببه وكيفيته، ثم جمع ما الصحف في المصحف في عهد عثمان رضي رضي الله عنه.

الفصل الخامس: القراءات السبع: تحدث عن الاعتراض على ابن مجاهد في اختياره عدد السبعة، ثم فوائد تتعلق بالقراءات.

الفصل السادس: في بيان تواتر القرآن والقراءات وما يتعلق بذلك: ذكر ثلاثة مشكلات تردّ على هذا الأصل وهو وجوب تواتر القرآن، والجواب عنها، وذكر أيضا تسع مسائل شتى تتصل بشأن القراءات.

الفصل السابع: في أسماء القرآن: ذكر فيه الأسماء التي سمى بها المولى عزّ وجل تنزيهه الذي أنزله على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، ومعني ووجوه هذه الأسماء في كلام العرب.

الفصل الثامن: في أسماء الصور وما يتعلق بذلك: ذكر فيه تنبيه في تعداد أسامي الصور هل هو توقيفي أم لا وصلتان تتعلقان بهذا الفصل، الصلة الأولى: في تقسيم القرآن إلى أربعة أقسام: الطول، والمئون، والمثاني، والمفصل، وبيانها. الصلة الثانية: في إعراب أسماء الصور، ثم ذكر خمسة فوائد شتى تتعلق بهذا الفصل.

الفصل التاسع: في عدد سور القرآن وأجزائه

الفصل العاشر: في عدد الآيات: ويشتمل على عشرة مباحث وهي: في معنى الآية لغة واصطلاحاً، في الآيات الطوال والآيات القصار، في أن معرفة الآيات توقيفية، في سبب اختلاف السلف في عدد الآي، في اختلاف عدد الآي على حسب اختلاف العادين، في الفواصل وجاء من السور على حرف واحد، في أن معرفة الآي وعددها وفواصلها مما يُحتاج إليه، فيما اعتاده كُتّاب المصاحف من النّقط على رؤوس الآي وغيرها، في عدد آي السور وما اختلف فيه من ذلك وما لم يُختلف فيه.

الفصل الحادي عشر: في فواصل الآي: وفيه ستة مباحث تتعلق بذلك وهي: في الكلام المنظوم والمنثور وما يتعلق بذلك، في السجع والكلام المرسل أيهما أرجح، اختلاف العلماء هل يقال أنّ في القرآن سجعا أم لا، وذكر عشرة أمور ينبغي معرفتها لتجلية ما اختلف العلماء فيه، في الأمور التي

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"

تحدث من أجل مراعاة الفواصل وهي أربعون أمراً، فيما يتعلق بالفاصلة من أمر البديع: التمكين، والتصدير، والتوشيح، والإيغال، وما يناسب ذلك، في أمر المناسبة بين مطالع الكلام ومقاطعته وبيان بعض المشكلات في هذا.

الفصل الثاني عشر: معرفة المناسبات بين الآيات وما يتعلق بذلك: وفيه ثلاثة مباحث وهي: في الاقتضاب والتخلص والاستطراد، في الاعتراض على علم المناسبات والجواب عن ذلك، في مبنى هذا الفن وهو علم مناسبات القرآن وفوائد شتى تتعلق بهذه المناسبات.

الفرع الثالث: مصادره

أشار الشيخ طاهر في مقدمته الموجزة أنه سلك فيه مسلك من قبله من العلماء، حيث قال: "وقد تَبَعْتُ فيه أَثَرَ العلماء الأعلام، الذين أَحَكَمُوا الأمر أي إحكام، وسترى بفضل الله سبحانه من ذلك ما به جِلاءُ الأفهام، وَجِلاءُ الأوهام."¹ ولكنه لم يشير إلى مصادره في كتابه. اعتمد الشيخ في كتابه على مجموعة كبيرة من المصادر والمراجع في مجالات متنوعة، أذكر منها:

1. التفاسير:

- تفسير الطبري.²

- تفسير الزمخشري.³

2. كتب في علوم القرآن:

- الانتصار للقاضي الباقلاني.⁴

- البرهان في علوم القرآن للزركشي.⁵

- الإتقان للحافظ السيوطي.⁶

- جمال القرآء وكمال الإقراء للسخاوي.⁷

¹ - التبيان، مرجع سابق، ص31.

² - المرجع نفسه، ص71، 88، 144، 155.

³ - المرجع نفسه، ص43، 186، 197، 293.

⁴ - المرجع نفسه، ص104، 108، 118، 128، 131، 135، 271.

⁵ - المرجع نفسه، ص55، 105، 118، 165، 209، 214.

⁶ - المرجع نفسه، ص31، 47، 92، 93، 122، 127، 146، 150، 219.

⁷ - المرجع نفسه، ص55، 100، 121.

1 - فضائل القرآن لأبي عبيد.

3. كتب الحديث:

2 - صحيح البخاري.

3 - صحيح مسلم.

4 - المستدرک للحاکم.

5 - المصاحف لابن أبي داود.

6 - فتح الباري لابن حجر.

4. كتب القراءات:

7 - النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

8 - كتاب القراءات للطبري.

5. كتب اللغة والأدب:

9 - فقه اللغة لابن فارس.

10 - كتاب سيبويه.

11 - المقامات للحريري.

¹ - التبيان، مرجع سابق، ص 35، 36، 42، 46، 153.

² - المرجع نفسه، ص 42، 43، 48، 49، 51، 56، 99، 102، 107، 108، 110.

³ - المرجع نفسه، ص 42، 50، 52، 56، 107، 108.

⁴ - المرجع نفسه، ص 35، 52، 44، 47، 59، 147، 161.

⁵ - المرجع نفسه، ص 85، 103، 11.

⁶ - المرجع نفسه، ص 44، 85، 87، 94، 98، 111، 129، 202.

⁷ - المرجع نفسه، ص 119، 134، 144، 148، 211، 314.

⁸ - المرجع نفسه، ص 113.

⁹ - المرجع نفسه، ص 83.

¹⁰ - المرجع نفسه، ص 118، 173.

¹¹ - المرجع نفسه، ص 251، 273.

المطلب الثاني: منهجه في الكتاب¹

جمع الشيخ طاهر الجزائري في كتابه التبيان بين التلخيص والتصنيف والزيادة، حيث ذكر عدّة أنواع قيمة في علوم القرآن وبيّن بعض الفصول التي تحتاج إلى بيان، وضبط أبوابه وتقسيماته وأضاف إليه عدّة مسائل وفوائد جديدة لم يسبقه إليه غيره، ويمكن تلخيص أهم ما يميز منهجه في كتابه في الآتي:

1. اختياره لعناوين مناسبة للفصول: رتب الشيخ هذه الفصول حسب التسلسل الزمني، فذكر في الفصل الأول المسائل المتعلقة بنزول القرآن كالمكي والمدني والسفري والحضري، والصيفي والشتائي،...، ثم تناول في الفصل الثاني كيفية نزول القرآن وما يتعلق به، وفي الفصل الثالث تناول مسألة نزول القرآن على سبعة أحرف وما يتعلق بذلك، وفي الفصل الرابع تناول جمع القرآن وترتيبه، وفي الخامس القراءات السبع، والسادس أسماء القرآن،...، وهكذا حتى الفصل الأخير وهو الثاني عشر الذي تناول فيه علم المناسبات وعلم الوقف والابتداء وما يتعلق بهما.

2. اهتمامه بالتقسيمات والتفريعات ووضع العناوين المناسبة: حيث يذكر في كل فصل من فصول الكتاب التفريعات المناسبة لموضوع الفصل، والأمثلة على ذلك كثيرة، فنجد مثلاً: يقسم الفصل الثاني إلى مسائل، والفصل الثالث إلى أقوال، والفصل الرابع إلى صلوات، والفصل الخامس إلى فوائد، والفصل السادس إلى مشكلات ومسائل، والفصل العاشر إلى مباحث.

3. يذكر المسائل التي لها علاقة بهذا الفصل ويفصّل فيها: ومن أمثلة ذلك تناوله مبحثاً يتعلق بمقدار المهلة في الوقف والترتيل في القراءة عند الكلام عن أسماء السور وما يتعلق بها، حي يبيّن أن مثل هذا الأمر من الأشياء المهمة التي لا ينبغي إغفالها، ولا يكفي فيها مجرد المعرفة النظرية، بل لابد أن يتلقى مشافهة من أهل هذا الشأن²، إلى غير ذلك من الأمثلة.

4. يذكر الفوائد التي يستخرجها من خلال دراسة الفصل محل الدراسة: فيكتب: "فائدة غالية، الفائدة الأولى، الفائدة الثانية وهكذا"، ومن أمثلة ذلك: أنه ذكر في الفصل الثامن عند الكلام عن أسماء السور وما يتعلق بذلك، خمس فوائد شتى تتعلق بهذا الفصل وما يناسبه، حيث تناول في الفائدة

¹ مقال بعنوان العالم الموسوعي الشيخ طاهر الجزائري وكتابه "التبيان لبعض المسائل المتعلقة بالقرآن"، مجلة مخبر إسهامات علماء

الجزائر في الدراسات الإسلامية، مختار قديري، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2016م، ص16-17.

² - التبيان، مرجع سابق، ص188-189.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"

الأولى إعراب ما سُمِّي من السُّور بفعليٍّ مثل "اقتَرَبْتُ"، وفي الفائدة الثانية تناول إعراب "المؤمنون" و"المسلمون" ونحوهما، وفي الفائدة الثالثة: ذكر الأسماء الأعجمية وما يعرب منها وما يُبني وما يُحكى، والفائدة الرابعة جعلها للكلام عن إعراب مثل: "أحمد شاه" و"محمد شاه" عند الباحثين، والفائدة الخامسة تناول فيها أسماء السُّور فيما إذا سُمِّت بأسماء حروف المعجم التي في أوائلها.¹

ومن ذلك أيضا ما ذكره من فوائد في الفصل الثاني عشر عند الكلام عن المناسبات بين الآيات وما يتعلق بذلك، حيث ذكر أربع فوائد قيِّمة تتعلق بهذا الفصل، الفائدة الأولى تتعلق بالمناسبات بين فواتح السُّور وخواتيمها، والفائدة الثانية تتعلق بالمناسبات بين السور، والفائدة الثالثة حول إشكال أمر المناسبة في بعض المواضع، والفائدة الرابعة والأخيرة حول كون المناسبة لا تمنع وجود الوقف التام.² وهكذا فلا يكاد يخلو فصل من فصول هذا الكتاب من الفوائد والدرر القيمة والمفيدة المتعلقة بمواضيع الفصول بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

5. أنه يورد الأدلة وكلام العلماء في المسائل التي يبحثها ويتعقبها بالتعليق: ومن أمثلة ذلك: تعقباته لابن مجاهد في الفصل الخامس في اختياره عدد السبعة، حيث قال: "وقد لام كثير من العلماء المتقدمين ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيها من الإيهام، وقالوا: ألا اقتصر على مادون هذا العدد أو زاد عليه؟ أو بيّن مراده منه، ليُخلَّص من لا يعلم من هذه الشبهة"³، ثم استدل بأقوال الأئمة لتأكيد ما ذهب إليه.⁴

¹ - التبيان، مرجع سابق، ص 172-187.

² - المرجع نفسه، ص 302-308.

³ - المرجع نفسه، ص 112.

⁴ - المرجع نفسه، ص 112-113.

المطلب الثالث: المميزات والمآخذ على الكتاب

تكلم تلميذ الشيخ طاهر، كرد علي على أهم الكتب المطبوعة للشيخ طاهر والتي من بينها كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة فقال: "... ففيها لباب علمه وأثر من آثار قريحته، تجلّى فيها روح بحثه وغوصه على مسائل دقيقة قلّ أن تُسنى لغيره ممن عاصره الوصول إليها.¹ وككل عمل بشري فإنّه لا يخلو من عيوب، وهذه الهنة ونحوها لا تنقص من قدر الكتاب وتميزه بالمزايا العالية التي سأشير إليها.

الفرع الأول: مميزات الكتاب²

1. جاءت مباحث هذا الكتاب على لطافة حجمه في ذروة المعرفة المطلوبة من دارسي القرآن الكريم.
2. دوّن المؤلف كلّ ذلك بأسلوب علمي مفصل ولفظ سهل جزل فصيح.
3. نوع الشيخ تلك المباحث فأدخل فيها من علم الحديث والنحو والبلاغة والعربية وغيرها ما رآه نفيسا وضروري متمّما للدراسة القرآنية، فأجاد وأفاد وأحسن.
4. الكتاب جدير أن يكون مقررا دراسيا في مستوى جامعي، يتعلم منه الطلبة ما يزيدهم بصيرة ومعرفة بالقرآن الكريم وعلومه، لما يتمتع به من التحقيق العلمي والأبحاث الهامة على وجه محرّر موجز.
5. الكتاب يعتبر موسوعة جامعة استوعب فيها الشيخ أهم المباحث المتعلقة بعلوم القرآن من خلال اعتماده على أهم المصادر التي تناولت هذا الفن.
6. حُسن اختياره لعناوين الفصول، وكذلك التقسيمات التي يوردها داخل كل نوع.
7. ترتيب الأنواع الواردة فيه ترتيبا زمنيا بديعا حيث بدأ بالأهم فالأهم.

¹ - كنوز الأجداد، مرجع سابق، ص28-29.

² - ينظر: التبيان، مرجع سابق، قسم الدراسة، ص6، ومقال بعنوان العالم الموسوعي الشيخ طاهر الجزائري وكتابه "التبيان لبعض المسائل المتعلقة بالقرآن"، مرجع سابق، ص18.

الفرع الثاني: المآخذ على الكتاب

1. يلاحظ أن المؤلف أوجز مقدمة الكتاب إيجازاً تاماً، فلم يشر فيها إلى شيء من التفصيل في مضمون الكتاب، أو عدد فصوله، أو تنوع مباحثه أو جملة مزاياه.¹
2. وجرت عادة المؤلف إذا نقل نصاً من كتاب وسمى مؤلفه: أنه لا يلتزم دائماً نقل عبارته كما هي، بل قد يتصرف فيها ويحذف منها أو يبدل بعض كلماتها بأولى أو أخصر منها، وتارة يصوغ معنى كلام العالم بعبارة من عنده، ولا ينبه على ذلك. وعلى سبيل المثال يقول في كتابه هنا في الصفحة 173، (قال بعض النحاة في مبحث أسماء السور...)، والقائل المذكور اسمه واسم كتابه أمامه، فإنه نقل ذلك النص من "الإتقان" للسيوطي (1/162)، وهو فيه هكذا: (قال أبو حيان في شرح التسهيل...). وقد تكرر منه هذا في مواضع كثيرة.² وقوله: "وهنا نكتة مهمة ينبغي التنبيه لها، وهي ما ذكره بعض المتكلمين حيث قال: ليس المعتبر في العلم بصحة النقل والقطع على ثبوته أن لا يخالف فيه مخالف، وإنما المعتبر في ذلك مجيئه عن قوم يثبت بهم التواتر، وتقوم بهم الحجة"³، مع أن القائل معروف وهو القاضي أبو بكر في الانتصار.⁴

¹ - التبيان، مرجع سابق، قسم الدراسة، ص 6.

² - المرجع نفسه، ص 7.

³ - المرجع نفسه، ص 112.

⁴ - الانتصار للقرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني، تحقيق محمد عصام القضاة، دار الفتح عمّان، دار ابن حزم، بيروت، 1422 هـ/ 2001 م، الطبعة الأولى، (1/240).

المبحث الثالث:

دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في
علوم القرآن في كتابه التبيان

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: اختياره في بيان المكي و المدني

المطلب الثاني: اختياره في ذكر أول ما نزل من القرآن

المطلب الثالث: اختياره في مكة أو مدنية سورة الفاتحة

المطلب الرابع: اختياره في كيفية نزول القرآن

المطلب الخامس: اختياره في نزول القرآن على سبعة أحرف

المطلب الأول: اختياره في بيان المكي والمدني

من المعلوم أن أول نزول القرآن كان في غار حراء بمكة، ثم تتابع نزوله عليه ﷺ، فكان منه ما نزل بمكة قبل الهجرة، وما نزل في ضواحي مكة، ثم هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، ونزل عليه فيها القرآن، وكان له سفرات نزل فيها قرآن، وكان منه ما نزل عليه بمكة بعد هجرته ﷺ. وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول لما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها.

يرجع اختلاف العلماء في المراد بالمكي والمدني إلى الاعتبار في النزول، فمنهم من اعتبر مكان النزول، ومنهم من اعتبر زمن النزول، ومنهم من اعتبر المخاطبين بالآيات أو السورة.

الفرع الأول: مجمل الأقوال

القول الأول: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة.

القول الثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

القول الثالث: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها.

الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم

القول الأول: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة. ويدخل في مكة ضواحيها كالمنزى على النبي ﷺ بمنى وعرفات والحديبية. ويدخل في المدينة ضواحيها أيضا كالمنزى عليه في بدر وأحد¹.

أولا: أصحاب هذا القول: ذكره الإمامان الزركشي والسيوطي ولم ينسبا هذه الأقوال للقائلين بها.²

ثانيا: أدلتهم: أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن ابن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: (أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة: مكة والمدينة والشام)³.

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا.م، د.ت، الطبعة الثالثة، (44/1).

² - ينظر: الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م، لا.ط، (37/1)، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا.م، 1376هـ/1957م، الطبعة الأولى، (187/1).

³ - المعجم الكبير، الطبراني، الباب 2، رقم 7619، (188/7). ضعيف جدا. ينظر: السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

القول الثاني: أن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة.

أولاً: أصحاب هذا القول: ابن مسعود وميمون بن مهران.

نقل الزركشي عن ابن مردويه في تفسيره أنه نص على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره وبه قال كثير من المفسرين ونقله عن ابن عباس.¹

ثانياً: أدلتهم: قول ابن مسعود الآتي لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطبوا بأهلها الناس وإن كان غيرهم داخلاً فيها وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطبوا بأهلها الذين آمنوا وإن كان غيرهم داخلاً فيهم.²

عن ميمون بن مهران قال: ما كان في القرآن ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أو ﴿يَبْتِئَءَادَمَ﴾ فإنه مكي وما كان ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فإنه مدني.³

القول الثالث: أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار.⁴

أولاً: أصحاب هذا القول: وأول من رأته نصّاً على هذا الضابط الزماني يحيى بن سلام البصري وهو الذي اعتمده العلماء المتأخرون، وسارت به الكتب بعدهم.⁵

ثانياً: أدلتهم: أخرج عثمان بن سعد الرازي بسنده إلى يحيى بن سلام قال: ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكي وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني وهذا أثر لطيف يؤخذ منه أن ما نزل في سفر الهجرة مكي اصطلاحاً.⁶

¹ - البرهان، مرجع سابق، (190/1).

² - المرجع نفسه، (187/1).

³ - فضائل القرآن، القاسم بن سلام، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1420هـ، لا.ط.، ص367.

⁴ - الإتيان، (37/1).

⁵ - المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، لا.م، 1429هـ/2008م، الطبعة الثانية، ص104.

⁶ - الإتيان، مرجع سابق، (37/1).

الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري

اختار الشيخ القول الثالث حيث قال: " أن المكّي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة، هذا هو المشهور."¹

الفرع الرابع: مناقشة الأقوال

أولاً: القول الأول: هذا التقسيم لوحظ فيه مكان النزول. لكن يُرد عليه أنه غير ضابط ولا حاصر لأنه لا يشمل ما نزل بغير مكة والمدينة وضواحيهما كقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ.....﴾ (التوبة:42) فإنها نزلت بتبوك وقوله سبحانه في سورة الزخرف: ﴿وَسَقَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا.....﴾ (الزخرف:45) فإنها نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء.² لذلك كان في هذا الضابط ثلمه هي وجود قسم ثالث هو واسطة بين القسمين، وهو ما نزل من القرآن في الأسفار، فإنه لا يعد مكيا ولا مدنيا.³

ثانياً: القول الثاني: 1. هذا التقسيم لوحظ فيه المخاطبون كما ترى لكن يرد عليه أمران: أنه غير ضابط ولا حاصر فإن في القرآن ما نزل غير مصدر بأحدهما نحو قوله سبحانه في فاتحة سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ①﴾ (الأحزاب:1) ونحو قوله سبحانه في فاتحة سورة المنافقون: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ (المنافقون:1).⁴

2. أن هذا التقسيم غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين بل إن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ مثل سورة النساء فإنها مدنية وأولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا﴾ (النساء:1) وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ (البقرة:21) وهناك آيات مكية صدرت بصيغة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ مثل سورة الحج فإنها مكية مع أن في أواخرها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ (الحج:77).⁵

¹ - التبيان، طاهر الجزائري، مرجع سابق، ص33.

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (1/193).

³ - علوم القرآن الكريم، أنور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، 1414هـ/1993م، الطبعة الأولى، ص56.

⁴ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (1/194).

⁵ - المرجع نفسه.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

3. أما كلام ابن مسعود لم يقصد به وضع ضابط وتعريف للمكي والمدني، إنما أراد بيان علامة من علامات القرآن المكي والمدني، أو تفسيراً لبيان المراد بهذا الخطاب، وهو أمر أغلبي ليس مضطرباً دائماً كما سيتضح. وهذا المذهب في تفسير المكي والمدني أضيق من المذهب السابق، لأنه قد تقيّد بالأشخاص المعيّنين في أمكنة معينة، وتقيّد بموضوع معين هو ما كان فيه خطاب من آيات القرآن، فبقي القسم الأكبر من القرآن خارج هذا المنهج في تعريف المكي والمدني¹.

ثالثاً: القول الثالث: هذا التقسيم لوحظ فيه زمن النزول وهو تقسيم ضابط حاصر ومطرد. وعليه فآية: ﴿أَيُّوْمًا كَمَلْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:3) مدنية مع أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة في حجة الوداع. وكذلك آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (النساء:58) فإنها مدنية مع أنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم. وقل مثل ذلك فيما نزل بأسفاره عليه الصلاة والسلام كفاتحة سورة الأنفال وقد نزلت ببدر فإنها مدنية لا مكية على هذا الاصطلاح المشهور².

الفرع الخامس: القول الراجح

بعد مناقشة الأقوال يظهر أن القول الراجح والله أعلم، القول الثالث وهو أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع أم بسفر من الأسفار، وهو اختيار الشيخ طاهر الجزائري وهو الذي رجحه بعض المتقدمين كالزركشي وابن حجر العسقلاني والسيوطي.

¹ - علوم القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 57.

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (194/1، 195).

المطلب الثاني: اختياره في أول ما نزل من القرآن

معرفة أول ما نزل علم توقيفي يعتمد على النقل عن الصحابة أو التابعين ولا مجال للاجتهاد فيه إلا للترجيح بين الأدلة والنقول.

الفرع الأول: مجمل الأقوال: اختلف في أول ما نزل من القرآن على أربعة أقوال:

القول الأول: صدر سورة اقرأ.

القول الثاني: سورة المدثر.

القول الثالث: سورة الفاتحة.

القول الرابع: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم

القول الأول: إن أول ما نزل من القرآن "صدر سورة اقرأ"، وهو قوله تعالى:

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (العلق: 1-5)¹

أولاً: أصحاب هذا القول: ابن عباس ومجاهد وقتادة.²

ثانياً: أدلتهم:

1- عن عائشة-رضي الله عنها أنها قالت: "كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ. قال "ما أنا بقارئ" قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ. قال قلت "ما أنا بقارئ" قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ. فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني. فقال ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ

¹ - دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ل.ان، ل.ام، 1424هـ/2003م، الطبعة الثانية عشرة، ص288.

² - ينظر: الانتصار للقرآن، مرجع سابق، (1/240)، وتفسير الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، ل.اط، (4/775).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ (العلق: 1-5) فرجع بها رسول الله ﷺ
ترجف بوارده حتى دخل على خديجة فقال...¹

2- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول سورة نزلت من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:1)"²

3- ما رواه أبو عبيد في فضائل القرآن عن مجاهد قال: "إن أول ما نزل من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق: 1) و﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) ﴿١﴾ (القلم:1)"³

القول الثاني: أول ما نزل سورة المدثر.

أولاً: أصحاب هذا القول: ذكره الإمامان الزركشي والسيوطي ولم ينسبا هذه الأقوال للقائلين بها.⁴

ثانياً: أدلتهم: الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ. قال: جابر أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ قال: "جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى، نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثم نوديت. فنظرت فلم أر أحداً ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء "يعني: جبريل عليه السلام " فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا عليّ الماء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ فُفَّ أَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ (المدثر:1-4)"⁵

القول الثالث: إن أول ما نزل سورة الفاتحة.

أولاً: أصحاب هذا القول: عزا الزمخشري هذا القول إلى أكثر المفسرين.⁶

ثانياً: أدلتهم: ما رواه البيهقي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقد والله خشيت أن يكون هذا أمراً"، فقالت: معاذ الله ما كان الله

¹ - صحيح مسلم، باب بدئ الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم 422، (97/1)، دار الجليل، بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ت. لا.ط.

² - المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، باب تفسير سورة اقرأ باسم ربك، رقم 3954، (576/2)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م، الطبعة الأولى. قال الذهبي في التلخيص: حديث صحيح على شرط مسلم.

³ - فضائل القرآن، القاسم بن سلام، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1420هـ، لا.ط، ص 364.

⁴ - ينظر: الإتيان، (91/1)، والبرهان، (206/1).

⁵ - صحيح مسلم، باب بدئ الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم 427، (13/1)، مرجع سابق.

⁶ - تفسير الكشاف، مرجع سابق، (775/4).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

ليفعل بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث. فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له وقالت: اذهب مع محمد إلى ورقة. فانطلقا فقصا عليه فقال: "إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد يا محمد! فأنتلق هاربا في الأفق"، فقال: لا تفعل إذا أتاك فائت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه: يا محمد قل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾¹ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ (الفاتحة: 1-2) حتى بلغ: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾² (الفاتحة: 7) "1.

قال الرمخشري في الكشاف: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت "اقرأ" وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب ثم القلم.²

القول الرابع: أن أول ما نزل هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

أولا: أصحاب هذا القول: قال السيوطي "حكاه ابن النقيب في مقدمة تفسيره قولاً زائداً."³ ولم يذكر أصحابه.

ثانياً: أدلتهم: ومن جملة ما استند عليه أصحاب هذا القول:

1. أخرج الواحدي بسنده عن عكرمة والحسن قالاً: أول ما نزل من القرآن هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فهو أول ما نزل من القرآن بمكة، وأول سورة أقرأ.⁴
2. أخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد قال: "يا محمد استعذ، قل: أستعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم"، ثم قال: قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم قال: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: 1). قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد بلسان جبريل.⁵

¹ - دلائل النبوة، الإمام البيهقي، باب أول سورة نزلت من القرآن، (158/2)، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، لا.م.

1408هـ/1988م، الطبعة الأولى. صحيح مرسل.

² - تفسير الكشاف، مرجع سابق، (775/4).

³ - الإتيان، مرجع سابق، (95/1).

⁴ - أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، لا.م، د.ت، لا.ط، ص.6.

⁵ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، لا.م، 1420هـ/2000م،

1420هـ/2000م، الطبعة الأولى، (113/1).

الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري

اختار الشيخ القول الأول حيث قال: "اختلفَ في أوّل ما نزل من القرآن على ثلاثة أقوال: القول الأول: اقرأ باسم ربّك، وهذا هو الصحيح."¹

الفرع الرابع: مناقشة الأقوال

أولاً: القول الأول: كثرة الروايات والطرق المروية عن أول ما نزل وأنه على التعيين ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:1) مع صحة هذه الروايات كلها.²

ثانياً: القول الثاني: 1. أن السؤال كان عن نزول سورة كاملة فبين أن سورة المدثر نزلت بكاملها قبل نزول تمام سورة اقرأ فإنها أول ما نزل منها صدرها. ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضا عن أبي سلمة عن جابر: سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: "سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثت منه رعبا فرجعت فقلت زملوني زملوني فذرني فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:1) إلى ﴿وَلِرَجْزٍ فَهَجْرٍ﴾ (المدثر:5) قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان.³ فقوله: "الملك الذي جاءني بحراء" يدل على أن هذه القصة متأخرة عن قصة حراء التي نزل فيها: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:1).⁴

2. ظاهر رواية جابر تدل على أنه استند في كلامه على أن أول ما نزل من القرآن هو المدثر إلى ما سمعه من رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي وكأنه لم يسمع بما حدّث به رسول الله ﷺ عن الوحي قبل فترته من نزول الملك على الرسول في حراء بصدر سورة اقرأ كما روت عائشة، فاقصر في إخباره على ما سمع ظاناً أنه ليس هناك غيره اجتهادا منه، غير أنه أخطأ في اجتهاده بشهادة الأدلة السابقة في القول الأول، ومعلوم أن النص يقدم على الاجتهاد وأن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، فبطل إذاً القول الثاني وثبت الأول.⁵

¹ - التبيان، مرجع سابق، ص41.

² - مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربي، القاهرة، د.ت، لا.ط، ص179.

³ - صحيح البخاري، كتاب بدئ الوحي، باب وثيا بك فطهر، رقم4924، (202/6)، دار الشعب، القاهرة، 1407هـ/1987م، الطبعة الأولى.

⁴ - الإقتان، مرجع سابق، (93/1).

⁵ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (195/1).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

3. وصف النووي رحمه الله تعالى القول بأن أول ما نزل سورة المدثر بأنه "ضعيف بل باطل، والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:1) كما صرح به في حديث عائشة." ¹

4. أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإندار وعبر بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوّة ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:1) وأول ما نزل للرسالة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:1). ²

5. يحتمل أن تكون الأولية في نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:1) بقيد السبب أي هي أول ما نزل من القرآن بسبب متقدم وهو ما وقع من التدرج الناشئ عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداءً بغير سبب متقدم. ³

6. أن أول ما نزل من الوحي الكريم هو ﴿أَقْرَأْ﴾ ثم فتر الوحي بعد ذلك مدة على ما هو معلوم من كتب السيرة، فكان أول ما نزل بعد فتور الوحي هو ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ﴿فُؤَادِنَا﴾ (المدثر:1-2)، فالمراد هنا أولية مخصوصة لا أولوية مطلقة. ⁴

ثالثاً: القول الثالث: 1. قال القاضي أبو بكر في الانتصار "وهذا الخبرُ مُنْقَطِعٌ غيرُ متصلِ السند، لأنه موقوف على أبي ميسرة." ⁵

2. هذا لفظ البيهقي وهو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل. ⁶

3. نقل عن السيوطي أن فيه إرسالاً مع ثقات رجاله. ⁷

4. أن هذا الحديث مرسل سقط من سنده الصحابي فلا يقوى على معارضة حديث عائشة السابق في بدء الوحي وهو مرفوع إلى النبي ﷺ. ⁸

¹ - المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، الطبعة الثانية، (207/2).

² - الإتيان، مرجع سابق، (93/1).

³ - فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، لا.ط، (678/8).

⁴ - مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، مرجع سابق، ص 179.

⁵ - الانتصار للقرآن، مرجع سابق، (241/1).

⁶ - البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، لا.م، 1408 هـ/1988م، الطبعة الأولى، (15/3).

(15/3).

⁷ - الإتيان، مرجع سابق، (94/1).

⁸ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (96/1).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

5. قال بن حجر "والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول (أنّ أول ما نزل اقرأ) وأما الذي نسبه (يقصد الزمخشري) إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول".¹
- رابعا: القول الرابع: 1. قال السيوطي "وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها فهي أول آية نزلت على الإطلاق".²
2. الاستدلال بالحديث الذي أخرجه الواحدي مردود لأن الحديث مرسل فلا يناهض المرفوع.³
3. الحديث الذي أخرجه بن جرير الطبري، قال عنه بن كثير "وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً، والله أعلم".⁴

الفرع الخامس: القول الراجح

بعد مناقشة الأقوال يظهر أن القول الراجح والله أعلم، القول الأول وهو أن أول ما نزل من القرآن "صدر سورة اقرأ"، وهو اختيار الشيخ طاهر الجزائري وهو الذي رجحه أيضا أبو بكر الباقلاني والزركشي والسيوطي.

وقد جمع القاضي أبو بكر في الانتصار كما نقله عنه الزركشي بين هذه الأقوال فقال:

"وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من الآيات ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:1) وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:1) وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة".⁵

¹ - فتح الباري، مرجع سابق، (714/8).

² - الإتيان، مرجع سابق، (95/1).

³ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (96/1).

⁴ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، لا.م، 1420هـ/1999م، الطبعة الثانية، (113/1).

⁵ - البرهان، مرجع سابق، (207/1، 208).

المطلب الثالث: اختياره في مكة أو مدينة سورة الفاتحة

لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني من الآيات إلا عن طريق الصحابة الذين كانوا يتابعون نزول الوحي، ويعرفون تاريخ نزول كل آية، والأسباب المؤدية إلى النزول. واستطاع العلماء بعد جهد كبير وتتبع دقيق أن يعرفوا المكي والمدني من الآيات، ومن الطبيعي أن يقع الاختلاف في بعض الآيات، نتيجة تعدد الروايات فيها، إلا أن ذلك الالتباس أمكن التغلب عليه، والآيات المكية معروفة والآيات المدنية كذلك.

الفرع الأول: مجمل الأقوال

اختُلف في مكة أو مدينة سورة الفاتحة على أربعة أقوال:

القول الأول: مكة.

القول الثاني: مدينة.

القول الثالث: نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة.

القول الرابع: نزلت نصفين نصفها بمكة ونصفها بالمدينة.

الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم

القول الأول: مكة.¹

أولاً: أصحاب هذا القول: ابن عباس والضحاك ومقاتل وعطاء.²

ثانياً: أدلتهم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر: 87)

روى الواحدي من طريق العلاء بن المسيب عن الفضل بن عمرو عن علي بن أبي طالب قال "نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش."³

¹ - الإتيان، مرجع سابق، (46/1).

² - البرهان، مرجع سابق، (194/1).

³ - أسباب النزول، مرجع سابق، ص 11.

القول الثاني: مدنية.¹

أولاً: أصحاب هذا القول: مجاهد.²

ثانياً: أدلتهم: ورد عن أبي هريرة بإسناد جيد³ قال الطبراني في الأوسط: حدثنا عبيد ابن غنم نبأنا أبو بكر بن أبي شيبة نبأنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبي هريرة (أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة).⁴

القول الثالث: ذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة مبالغة في تشريفها.⁵

أولاً: أصحاب هذا القول: ذكره السيوطي في الإتيان ولم ينسب هذا القول للقائلين به.⁶

ثانياً: أدلتهم: ذكره السيوطي في الإتيان ولم يذكر أدلة القائلين به.

القول الرابع: نزلت نصفين نصفها بمكة ونصفها بالمدينة.⁷

أولاً: أصحاب هذا القول: حكاه أبو الليث السمرقندي.⁸

ثانياً: أدلتهم: ذكره السيوطي في الإتيان ولم يذكر أدلة القائلين به.¹⁰

الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري

اختار الشيخ القول الأول حيث قال: "... وذلك كالحلاف في الفاتحة، فقد ثبت أنها مكية وهو قول الجمهور،...."¹¹

¹ - الإتيان، مرجع سابق، (46/1).

² - ينظر: أسباب النزول، مرجع سابق، ص11، والبرهان، مرجع سابق، (194/1).

³ - الإتيان، مرجع سابق، (46/1).

⁴ - المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله، باب من اسمه عبيد، رقم 4788، (100/5)، دار الحرمين، القاهرة، 1415م، لا.ط. وهو شبيه المرفوع ورجاله رجال الصحيح.

⁵ - الإتيان، مرجع سابق، (47/1).

⁶ - المرجع نفسه، (47/1).

⁷ - المرجع نفسه، (47/1).

⁸ - نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث، الملقب بإمام الهدى: علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة، منها " تفسير القرآن"، توفي 373هـ. ينظر: الأعلام، (27/8).

⁹ - الإتيان، مرجع سابق، (47/1).

¹⁰ - المرجع نفسه، (47/1).

¹¹ - التبيان، مرجع سابق، ص57.

الفرع الرابع: مناقشة الأقوال

أولاً: القول الأول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: 87)، فسّرت على أنها الفاتحة كما جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم."¹، وسورة الحجر مكية بلا خلاف، ولم يكن الله ليؤمن على رسوله بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة، ثم ينزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بمكة بضعة عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول.²

ثانياً: القول الثاني: وفسّر قول بن مجاهد بأنه:

1. يحتمل أن الجملة الأخيرة (من الحديث) مدرجة من قول مجاهد.³
2. قال الحسين بن الفضل لكل عالم هفوة وهذه بادرة من مجاهد لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه.⁴

ثالثاً: القول الثالث: وفي جمال القراءة للسخاوي بعد أن حكى القول بنزول الفاتحة مرتين: إن قيل: فما فائدة نزولها مرة ثانية؟ قلت: "يجوز أن يكون نزلت أول مرة على حرف واحد ونزلت في الثانية ببقية وجوهها نحو ملك ومالك والسرائر والسرائر ونحو ذلك."⁵

رابعاً: القول الرابع: قال السيوطي: "لا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة ولم يحفظ أنه كان في الإسلام صلاة بغير الفاتحة."⁶

الفرع الخامس: القول الراجح

بعد مناقشة الأقوال يظهر أن القول الراجح والله أعلم، القول الأول وهو أن سورة الفاتحة مكية، وهو اختيار الشيخ طاهر الجزائري و قال فيها السيوطي: "الأكثر على أنها مكية"⁷.

¹ - صحيح البخاري، كتاب بدئ الوحي، باب ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم، رقم 4704، (202/6)، مرجع سابق.

² - أسباب النزول، مرجع سابق، ص 12.

³ - الإتيان، مرجع سابق، (46/1).

⁴ - أسباب النزول، مرجع سابق، ص 11.

⁵ - جمال القراءة وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق-بيروت، 1418هـ/1997م، الطبعة الأولى، ص 87.

⁶ - الإتيان، مرجع سابق، (46/1).

⁷ - المرجع نفسه، (46/1).

المطلب الرابع: اختياره في كيفية نزول القرآن

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يظل الوحي متجاوبا مع الرسول ﷺ يعلمه كل يوم شيئا جديداً، ويرشده ويهديه، ويثبته ويزيده اطمئناناً، ومتجاوبا مع الصحابة يريهم ويصلح عاداتهم، ويجيب عن وقائعهم، ولا يفاجئهم بتعاليمه وتشريعاته، فكان مظهر هذا التجاوب، نزوله منجماً ليقرأه النبي ﷺ على مكث ويقرأه الصحابة شيئاً بعد شيء، يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التي تعاقبت في حياة الرسول ﷺ خلال بعثته.

ذكر القرآن الكريم ثلاث آيات انتظمت وقت النزول وهي: قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ (الدخان:3) و ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:1) و ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة:185). اتفق المفسرون على أن هذه الآيات يفسر بعضها بعضاً، فقد نزل في الليلة المباركة التي هي ليلة القدر التي هي في شهر رمضان. ولكنهم اختلفوا بعد ذلك في مدة النزول، وكيفيته على أقوال:¹

الفرع الأول: مجمل الأقوال

القول الأول: نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجماً في عشرين سنة وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة.²

القول الثاني: نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة.³

القول الثالث: ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات.⁴

القول الرابع: نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نُجِّمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نُجِّمته على النبي ﷺ في عشرين سنة.⁵

¹ - مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربي، القاهرة، د.ت، لا.ط، ص179.

² - الإتيان، مرجع سابق، (1/146).

³ - المرجع نفسه، (1/148).

⁴ - المرجع نفسه، (1/148).

⁵ - النكت والعيون، الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، لا.ط، (311/6).

الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم

القول الأول

أولاً: أصحاب هذا القول: قال به بن عباس.¹

ثانياً: أدلتهم: 1. أخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما من طريق منصور عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:1) قال: " أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بموقع النجوم فكان الله عز وجل ينزله على رسوله بعضه في أثر بعض." فقال الله عز وجل ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان:32)²

2. وأخرج الحاكم والبيهقي أيضاً والنسائي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: " أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان:33) ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الاسراء:106)³

3. وأخرج الحاكم وابن أبي شيبة من طريق حسان بن حرث عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي صلى الله عليه وسلم."⁴

¹ - الإتيان، مرجع سابق، (146/1).

² - المستدرک علی الصحیحین، باب تفسیر سورة إنا أنزلناه، رقم 3958، (578/2)، مرجع سابق. حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

³ - المرجع نفسه، باب كتاب التفسير، رقم 2879، (242/2). حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

⁴ - المرجع نفسه، باب كتاب التفسير، رقم 2881، (242/2). حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

القول الثاني

أولاً: أصحاب هذا القول: قال به مقاتل والإمام أبو عبد الله الحلبي في المنهاج والماوردي في تفسيره.¹

ثانياً: أدلتهم: 1. وقع في المنهاج للحلبي " أن جبريل كان ينزل منه من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى السماء الدنيا قدر ما ينزل به على النبي صلى الله عليه و سلم في تلك السنة إلى ليلة القدر التي تليها إلى أن أنزله كله في عشرين ليلة من عشرين سنة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا.²"
3. وهذا المذهب اجتهاد من بعض المفسرين، ولا دليل عليه.³

القول الثالث

أولاً: أصحاب هذا القول: قال به الشعبي⁴ ومحمد بن إسحاق⁵.

ثانياً: أدلتهم: 1. قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان:3)
و﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:1) و: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة:185).⁶
2. استدل الشعبي لقوله بقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ (الفرقان:32).⁷

القول الرابع

أولاً: أصحاب هذا القول: حكاها الماوردي في النكت و العيون ونسبه لابن عباس.⁸

ثانياً: أدلتهم: أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: "نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفارة الكرام

¹ - البرهان، (229/1).

² - فتح الباري، مرجع سابق، (4/9).

³ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لا.م، 1421هـ/2000م، الطبعة الثالثة، ص103.

⁴ - البرهان، مرجع سابق، (229/1).

⁵ - مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، الطبعة الأولى، (73/5).

⁶ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مرجع سابق، ص102.

⁷ - مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، مرجع سابق، ص154.

⁸ - النكت والعيون، مرجع سابق، (311/6).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السفارة على جبريل في عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة ، وكان ينزل على مواقع النجوم إرسالا في الشهور والأيام.¹

الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري

اختار الشيخ القول الأول حيث قال: " والقول الأول أشهر، وإليه ذهب الأكثرون،...."²

الفرع الرابع: مناقشة الأقوال

أولا: القول الأول: قال السيوطي عن الأحاديث، أسانيدھا كلها صحيحة.³ وهي أحاديث موقوفة موقوفة على ابن عباس غير أن لها حكم المرفوع إلى النبي ﷺ لما هو مقرر من أن قول الصحابي ما لا مجال للرأي فيه ولم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات حكمه حكم المرفوع. ولا ريب أن نزول القرآن إلى بيت العزة من أنباء الغيب التي لا تعرف إلا من المعصوم وابن عباس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات فثبت الاحتجاج بها.⁴

ثانيا: القول الثاني: قال بن حجر العسقلاني وهذا أيضا أورده بن الأنباري من طريق ضعيفة ومنقطعة أيضا.⁵

ثالثا: القول الثالث: 1. أن المراد بنزول القرآن في الآيات الثلاث ابتداء نزوله على رسول الله ﷺ فقد ابتداء نزوله في ليلة القدر في شهر رمضان، وهي الليلة المباركة، ثم تتابع نزوله بعد ذلك متدرجا مع الوقائع والأحداث في قرابة ثلاث وعشرين سنة، فليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله مُنَجَّمًا على رسول الله ﷺ لأن هذا هو الذي جاء به القرآن ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ (الاسراء:106).⁶

2. كأن صاحب هذا القول ينفي النزول جملة إلى بيت العزة في ليلة القدر.⁷

¹ - وبعد البحث في كتب الحديث لم أتمكن من العثور على مصدر هذا الحديث، لذا اضطررت إلى تخريجه بالواسطة من الإمام السيوطي. ينظر: الإتيان، مرجع سابق، (149/1)، وذكره ابن حجر في فتح الباري، (5/9)، وقال "غريب".

² - التبيان، مرجع سابق، ص59.

³ - الإتيان، مرجع سابق، (147/1).

⁴ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (45/1).

⁵ - فتح الباري، مرجع سابق، (4/9).

⁶ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص102.

⁷ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (46/1).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

رابعاً: القول الرابع: 1. قال ابن حجر "هذا غريب والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي صلى الله عليه و سلم في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة."¹

2. قال ابن العربي: "وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطة. ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليهما واسطة."²

الفرع الخامس: القول الراجح

بعد مناقشة الأقوال يظهر أن القول الراجح والله أعلم، القول الأول وهو أن القرآن الكريم نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجّماً في عشرين سنة وثلاث وعشرين أو خمس وعشرين على حسب الخلاف في مدة إقامته بمكة بعد البعثة، وهو اختيار الشيخ طاهر الجزائري و قال فيه الزركشي "والقول الأول أشهر وأصح وإليه ذهب الأكثرون" و قال فيه ابن حجر في شرح البخاري "والأول هو الصحيح المعتمد" وقال فيه السيوطي "وهو الأصح الأشهر"³.

تنبيه: ومن العلماء من يرى أن القرآن نزل أولاً جملة إلى اللوح المحفوظ مستدلاً بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢﴾﴾ (البروج: 21-22)، ثم نزل من اللوح المحفوظ جملة كذلك إلى بيت العزة، ثم نزل مفرقاً، فهذه تنزلات ثلاثة. وهذا لا يتعارض مع ما سبق أن رجحناه، فالقرآن الكريم مثبت في اللوح المحفوظ شأن سائر المعينات المثبتة فيه، والقرآن الكريم نزل جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا كما روي عن ابن عباس في ليلة القدر، والقرآن الكريم بدأ نزوله مُنَجَّماً على رسول الله ﷺ في الليلة المباركة ليلة القدر من شهر رمضان.⁴

¹ - فتح الباري، مرجع سابق، (5/9).

² - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ/2003م، لا.ط، (130/20).

³ - ينظر: البرهان، (288/1)، وفتح الباري (4/9)، والإنتقان (146/1).

⁴ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص105.

المطلب الخامس: اختياره في نزول القرآن على سبعة أحرف

هذا مبحث طريف وشائق غير أنه مخيف وشائك. أما طرافته وشوقه فلأنه يرينا مظهرا من مظاهر رحمة الله وتخفيفه على عباده وتيسيره لكتابه على كافة القبائل العربية بل على جميع شعوب الأمة الإسلامية من كل جيل وقبيل حتى ينطقوا به لينة ألسنتهم سهلة لهجاتهم برغم ما بينهم من اختلاف في اللغات وتنوع في الخصائص والميزات. ومن طرافة هذا المبحث أيضا أنك تشاهد فيه عرضا عاما لمنتجات أفكار كثيرة وتشهد جيشا جرارا من مذاهب وآراء كلها تحاول العمل لخدمة العلم وإظهار الحق والدفاع عن عرين القرآن والإسلام. وأما مخافة هذا المبحث وشوكة فلأنه كثر فيه القيل والقال إلى حد كاد يطمس أنوار الحقيقة حتى استعصى فهمه على بعض العلماء ولاذ بالفرار منه وقال: إنه مشكل.¹

الفرع الأول: أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف

لا سبيل إلى الاستدلال على هذا إلا مما صح عن رسول الله ﷺ ولقد جاء هذا النقل الصحيح من طرق مختلفة كثيرة وروي حديث نزول القرآن على سبعة أحرف عن جمع كبير من الصحابة. أولا: روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال ﷺ: (أقراني جبريل على حروف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) زاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام.² ثانيا: وروى البخاري ومسلم أيضا واللفظ للبخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبتته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرانيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت أقرانيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئنيها فقال (أرسله اقرأ يا هشام) فقرأ القراءة التي سمعته ، فقال رسول الله ﷺ (كذلك أنزلت) ثم قال رسول

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (137/1، 138).

² - صحيح مسلم، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم 1943، (203/2)، مرجع سابق.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

الله ﷺ: (اقرأ يا عمر) فقرأت التي أقرأني فقال (كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه).¹

ثالثا: روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان عند أضاة² بني غفار. قال: (فأتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف. فقال (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك). ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك). ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال (أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك). ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأبما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا).³

رابعا: وروى الترمذي عن أبي بن كعب أيضا قال: (لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط قال يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف).⁴

خامسا: أخرج أحمد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص قال: (سمع عمرو بن العاص رجلا يقرأ آية من القرآن فقال من أفراكها قال رسول الله ﷺ قال: فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا فذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما يا رسول الله آية كذا وكذا ثم قراها فقال رسول الله ﷺ هكذا أنزلت فقال الآخر يا رسول الله فقراها على رسول الله ﷺ فقال أليس هكذا يا رسول الله قال هكذا أنزلت فقال رسول الله ﷺ ان هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فأبى ذلك قرأتهم فقد أحسنتم ولا تماروا فيه فإن المرء فيه كفر أو آية الكفر).⁵

¹ - صحيح البخاري، كتاب بدئ الوحي، باب فاقروا ما تيسر من القرآن، رقم 7550، (194/9)، مرجع سابق.

² - الأضاة: الماء المستقع كالغدير.

³ - صحيح مسلم، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم 1939، (202/2)، مرجع سابق.

⁴ - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم 2944، (194/5)، تحقيق أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت. قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

⁵ - المسند، الإمام أحمد بن حنبل، باب بقية حديث عمرو بن العاص عن النبي ﷺ، رقم 17855، (205/4)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت، لا.ط. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

الفرع الثاني: شواهد بارزة في هذه الأحاديث الواردة

أولاً: أن الحكمة في نزول القرآن على الأحرف السبعة هي التيسير على الأمة.
ثانياً: أن مرات استزادة الرسول للتيسير على أمته كانت ستا غير الحرف الذي أقره أمين الوحي عليه أول مرة فتلك سبعة كاملة بمنطوقها ومفهومها.
ثالثاً: أن من قرأ حرفاً من هذه الحروف فقد أصاب شاكلة الصواب أي كان ذلك الحرف.
رابعاً: أن القراءات كلها على اختلافها كلام الله لا مدخل لبشر فيها. بل كلها نازلة من عنده تعالى مأخوذ بالتلقي عن رسول الله ﷺ خلافاً لمن ذهب إلى جواز القراءة بالمعنى.
خامساً: أنه لا يجوز منع أحد من القراءة بأي حرف من تلك الأحرف السبعة النازلة. يدل على ذلك قوله ﷺ: (فلا تماروا فيه فإن المرء فيه كفر).
سادساً: أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متحمسين في الدفاع عن القرآن مستبسلين في المحافظة على التنزيل متيقظين لكل من يحدث فيه حدثاً.
سابعاً: أنه لا يجوز أن نجعل اختلاف القراءات معركة جدال ونزاع وشقاق ولا مثار تردد وتشكيك وتكذيب ولا سلاح عصبية وتنطع وجمود.¹

الفرع الثالث: أشهر الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف

كثرت الآراء في تجلية معناها حتى بلغت زهاء أربعين قولاً كما قال السيوطي². قال طاهر الجزائري "وهذه الأقوال الأربعة هي أشهر ما قيل في معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف."³
القول الأول: المراد بالأحرف السبعة، الوجوه التي يقع بها الاختلاف في القراءة.⁴ أي الأنواع التي يقع بها التباين والاختلاف في الكلمات القرآنية ولا يخرج عنها.⁵
القول الثاني: المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو أقبيل وهلم وتعال وعجل وأسرع وأنظر وأخر وأمهل ونحوه وكاللغات التي في أف ونحو ذلك.⁶

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (145/1-152).

² - الإتقان، مرجع سابق، (164/1).

³ - التبيان، مرجع سابق، ص 89.

⁴ - المرجع نفسه، ص 68.

⁵ - حديث الأحرف السبعة، عبد الفتاح القارئ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1423هـ/2002م، الطبعة الأولى، ص 45.

⁶ - البرهان، مرجع سابق، (220/1).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

القول الثالث: أن المراد سبع لغات متفرقة في القرآن، لسبعة أحياء من قبائل العرب مختلفة الألسن.¹
القول الرابع: سبعة أنواع من الكلام كل نوع منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنحاء بعضها أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال وغيره.²

الفرع الرابع: أصحاب الأقوال

أولاً: أصحاب القول الأول: قال به الإمام أبو الفضل الرازي وقاربه كل القرب مذهب الإمام ابن قتيبة والمحقق ابن الجزري والقاضي ابن الطيب. ولا فرق بين آرائهم إلا اختلاف في طرق التبع والاستقصاء والتعبير والأداء. وقد اختار هذا المذهب أيضاً من المتأخرين بعض أعلام المحققين كالعلامة المرحوم الشيخ الحضري الدمياطي والعلامة المرحوم الشيخ محمد بجيت المطيعي. لكن منهم من تغاضى عن الفروق الدقيقة التي بين الرازي ومذاهب أولئك الثلاثة الذين تشاركت آراؤهم في الجملة ومنهم من صرح بالاتحاد بين هذه المذاهب جميعاً وما شابهها واعتبر الخلاف بينها لفظياً فحسب.³

ثانياً: أصحاب القول الثاني: قال به سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلائق.⁴

ثالثاً: أصحاب القول الثالث: قال به أبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن يحيى ثعلب وحكاه ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر وقال الأزهري في التهذيب إنه المختار.⁵

رابعاً: أصحاب القول الرابع: ذكره السيوطي والزركشي وغيرهما ولم ينسبوا هذا القول لقائلين به.⁶

¹ - التبيان، مرجع سابق، ص 81.

² - البرهان، مرجع سابق، (216/1).

³ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (158/1).

⁴ - الإلتقان، مرجع سابق، (167/1).

⁵ - البرهان، مرجع سابق، (218/1).

⁶ - ينظر للبرهان، مرجع سابق، (216/1)، والإلتقان، مرجع سابق، (170/1).

الفرع الخامس: اختيار الشيخ طاهر الجزائري

اختار الشيخ القول الأول حيث قال: "وهذه الأقوال الأربعة هي أشهر ما قيل في معنى حديث: أنزل القرآن على سبعة أحرف، وأظهرها القول الأول، وهو أن المراد بالسبعة الأحرف سبعة أوجه، يقع الاختلاف بها في القراءة مع عدم التضاد في المعنى."¹

الفرع السادس: تفصيل الأقوال ومناقشتها

أولاً: القول الأول

1. تفصيل القول الأول: سأذكر ما قال الإمام أبو الفضل الرازي الذي قال عليه بن حجر " وقد أخذ كلام بن قتيبة ونقحه."²

الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:³

الأول: اختلاف الأسماء من إفراد وتشنية وجمع وتذكير وتأنيث.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير.

السادس: الاختلاف بالإبدال.

السابع: اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك.

2. التمثيل لكل نوع⁴

ويمكن التمثيل للوجه الأول منه وهو اختلاف الأسماء. بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

رَاعُونَ﴾ (المعارج: 32) قرئ هكذا: (لَأَمَانَتِهِمْ) جمعا وقرئ (لَأَمَانَتِهِمْ) بالإفراد. ويمكن التمثيل للوجه

الثاني وهو اختلاف تصريف الأفعال بقوله سبحانه: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾ (سبأ: 19) قرئ هكذا

بنصب لفظ (رَبَّنَا) على أنه منادى وبلفظ (بَاعِدْ) فعل أمر وبعبارة أنسب بالمقام فعل دعاء وقرئ

¹ - التبيان، مرجع سابق، ص 89.

² - فتح الباري، مرجع سابق، (29/9).

³ - المرجع نفسه، (29/9).

⁴ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (157-155/1).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

هكذا: (رَبَّنَا بَاعِدْ) برفع رب على أنه مبتدأ وبلفظ بعد فعلا ماضيا مضعف العين جملته خبر. ويمكن التمثيل للوجه الثالث وهو اختلاف وجوه الإعراب بقوله سبحانه: ﴿وَلَا يُضَارَكُ تَبُّهُ وَلَا شَهِيدٌ﴾ (البقرة: 282) قرئ بفتح الراء وضمها فالفتح على أن لا ناهية فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين. أما الضم فعلى أن لا نافية فالفعل مرفوع بعدها. ومثل هذا المثال قوله سبحانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ (البروج: 15) قرئ برفع لفظ المجيد وجره. فالرفع على أنه نعت لكلمة ذو والجر على أنه نعت لكلمة العرش. فلا فرق في هذا الوجه بين أن يكون اختلاف وجوه الإعراب في اسم أو فعل كما رأيت. ويمكن التمثيل للوجه الرابع وهو الاختلاف بالنقص والزيادة. بقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ (الليل: 3) قرئ بهذا اللفظ. وقرئ أيضا والذكر والأنثى بنقص كلمة ما خلق. ويمكن التمثيل للوجه الخامس وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير بقوله سبحانه: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ (ق: 19) وقرئ: وجاءت سكرة الحق بالموت. ويمكن التمثيل للوجه السادس وهو الاختلاف بالإبدال بقوله سبحانه: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ (البقرة: 259) بالزاي وقرئ ﴿نُنشِزُهَا﴾ بالراء وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَطَلَّحَ مَنْضُودٍ﴾ (الواقعة: 29) بالحاء وقرئ وطلع بالعين. فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل. ويمكن التمثيل للوجه السابع وهو اختلاف اللهجات بقوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (النازعات: 15) تقرأ بالفتح والإمالة في أتى ولفظ موسى فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل. والحرف مثلهما نحو ﴿بَلَى قَدْرِينِ﴾ (القيامة: 4) قرئ بالفتح والإمالة في لفظ بلى.

3. مناقشة القول الأول:

1. والحق أن هذا الوجه الأخير أهم الأوجه السبعة؛ لأنه يبرز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف، ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التي تعددت قبائلها فاختلفت بذلك لهجاتها، وتباين أداؤها لبعض الألفاظ، فكان لا بد أن تراعي لهجاتها، وطريقة نطقها، أما لغاتها نفسها فلا موجب لمراعاتها؛ لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره في لغة قريش التي تمثلت فيها لغات العرب قاطبة، لا لغات قبائل معينة ينتصر لها بعض العلماء بتعسف لا يؤيده دليل عقلي ولا نقلي.¹
2. هذا المذهب يعتمد على الاستقراء التام لاختلاف القراءات وما ترجع إليه من الوجوه السبعة بخلاف غيره فإن استقراءه ناقص أو في حكم الناقص.²

¹ - مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لا.م، 2000م، الطبعة الرابعة والعشرون، ص113.

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (1/158).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

3. "نلاحظ وجها كاملا في كلام الرازي لم ينوه به واحد من أولئك الثلاثة¹، فهو فضلا عن أنه أدمج وجوههم السبعة في وجوه ستة بطريقته الدقيقة نجده قد عقد الوجه السابع لاختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم ونحو ذلك."²
4. ردّ بن قتيبة بقوله: وأما نحو اختلاف الإظهار والإدغام والروم والإشمام والتخفيف والتسهيل ونحو ذلك فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع في اللفظ والمعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا.³
5. "ولكني أرى أن هذا العذر الذي قدمه ابن قتيبة لإهمال هذا الوجه لا يسوغ ذلك الإهمال. فإن المسألة ليست مسألة أسماء وعناوين يترتب عليها أن اختلاف اللهجات في اللفظ الواحد تخرجه عن أن يكون واحدا أو لا تخرجه بل المسألة مسألة رعاية أمر واقع تختلف به القراءات فعلا ويمكن أن يكون مثار النزاع السابق الذي دب بين الصحابة في اختلاف القراءات كما يكون أيضا مثارا للنزاع في كل عصر ومصر بين القراء إذا لم يعلموا أن الجميع من عداد الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن. وذلك لأن تحريف القرآن يحرم بما يمس صورته وطريق أدائه وكيفية لهجاته كما يحرم بما يمس جوهره وتغيير حروفه وكلماته وحركاته وترتيبه."⁴
6. التيسير على الأمة وهي الحكمة البارزة في نزول القرآن على سبعة أحرف لا يتحقق على الوجه الأكمل إلا بحسبان هذا الوجه الذي نوه به الرازي وهو اختلاف اللهجات. بل هذا قد يكون أولى بالحسبان وأحرى بالرعاية في باب التخفيف والتيسير لأنه قد يسهل على المرء أن ينطق بكلمة من غير لغته في جوهرها ولا يسهل عليه أن ينطق بكلمة من غير لغته نفسها بلهجة غير لهجته وطريقة في الأداء غير طريقته. ذلك لأن الترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل والإظهار والإدغام والفتح والإمالة ونحوها ما هي إلا أمور دقيقة وكيفيات مكثفة بشيء من الغموض والعسر في النطق على من لم يتعودها ولم ينشأ عليها. واختلاف القبائل العربية فيما مضى كان يدور على اللهجات في كثير من

¹ - الإمام ابن قتيبة والمحقق ابن الجزري والقاضي ابن الطيب.

² - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (161/1).

³ - المرجع نفسه، (161/1).

⁴ - المرجع نفسه، (161/1، 162).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

الحالات وكذلك اختلاف الشعوب الإسلامية وأقاليم الشعب الواحد منها الآن يدور في كثير من الحالات أيضا على اختلاف اللهجات.¹

7. وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها من الإمالة والهمز والتلين والمد وغيره لشق عليهم، ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب أنه قال: (لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والحارية والرجل الذي لم يقرأ كتابا قط قال يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف).^{2 3}

8. أن الحكمة من تعدد الأحرف كما سبق الرخصة لطوائف من الأمة يشق عليها التعلم، ويعسر عليها التحول عما ألفته ألسنتها، والعرب على وجه الخصوص لم يكونوا يحسنون الكتابة ولا القراءة، وهذه الأنواع التي ذكرها معظمها متعلق بطريقة الخط، واختلاف صورة الكلمة في الكتابة، كما أنها جميعها لا يتسنى إدراكها أو استنباطها إلا بعد بحث وتعمق واستقراء مع خبرة بأوجه الخط والكتابة، وهذا شأن خاص بخواص العلماء المحققين، فما بال من نزلت الرخصة من أجلهم وتعددت الأوجه للتيسير عليهم ما شأنهم بهذه الأمور العلمية المتعمقة، وهذه المسائل المعقدة، التي لن يدركوا حقيقتها، ولن يتوصلوا إلى استخراجها، لو كان هذا هو المراد بالأحرف إذن لازدادت عليهم المشقة، وتحيروا في أمرهم، وصعب عليهم الاختيار.⁴

9. وإذا كنا نحن قد استطعنا حصر أوجه الاختلاف في سبعة، فقد وقع لنا ذلك اتفاقاً، بعد أن جمعنا آراء الأقدمين ووقفنا بينها، وأما الصحابة الكرام الذين نزل القرآن بأحرفه السبعة ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، يقرؤهم بها، وينبهم إليها، فكان أكثرهم يومئذ أميين لا يقرءون ولا يكتبون، وما كان يتاح لهم أن يحددوا المراد من الأحرف السبعة، وإنما كانوا يعرفون أن أوجه الخلاف لا تخرج عن سبعة

¹ - مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، (162/1).

² - سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم 2944، (194/5). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

³ - البرهان، مرجع سابق، (227/1).

⁴ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص 58، 59.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

في جميع مفردات القرآن، وقد اجتمعت عمليا من مختلف قراءاتهم التي أقرهم عليها الرسول ﷺ وانتهى العلم بها إلينا أحرف القرآن السبعة التي لم نعرفها نحن إلا بطريق الاستنباط والاستقراء.¹

ثانيا: تفصيل ومناقشة القول الثاني

1. قال الامام الطبري في تفسيره: "الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن، هنّ لغات سبع، في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتنق في المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الألسن". وقال أيضا: أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمة الله عليه، جمع المسلمين على مصحف واحد، وحرف واحد، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالفاً للمصحف الذي جمعهم عليه، أن يخرقه. فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة ورأت أنّ فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها، طاعةً منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها.²

2. وهذا قول عجيب في غاية الضعف فإنه دعوى بنسخ بعض القرآن بإجماع الصحابة، إذ أن كل حرف من الأحرف المنزلة هو قرآن، فكيف يحق لعثمان أو لأي من الصحابة رضوان الله عليهم، بل للصحابة مجتمعين، إلغاء شيء من القرآن بغير نص صريح من مُنزلّه عزّ وجلّ؟³

3. قيل: "إنّ أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة. لأنّ القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم، لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة، عند من تقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشك من قراءّة الأمة. وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجبّ بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة."⁴

4. فإن قلنا تنزلا مع ابن جرير رحمه الله: إن الأمة كانت مخيرة في الأخذ بهذه الأحرف أو تركها وأنها لم تكن ملزمة بالقراءة بها جميعها، لأنها كانت رخصة رخص الله بها، فإننا نقول: "إن التخيير كان في

¹ - مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، مرجع سابق، ص113.

² - جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (63/1، 64).

³ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص57.

⁴ - جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (64/1).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

القراءة بواحد من تلك الأحرف حسبما يتيسر للقارئ ويسهل عليه، ولم يكن التخيير في نقل الأحرف، بل كانت الأمة مُلزَمة بنقلها جميعاً، لأن كلَّ حرف منها بمنزلة الآية، ولم يكن عثمان أو الصحابة رضي الله عنهم جميعاً مُفَوِّضين في إلغاء شيء منها.¹

5. ثم وكيف يسوغ للصحابة إلغاء هذه الرخصة (رخصة الأحرف السبعة) والحكمة منها لا تزال قائمة، بل هي أشد وضوحاً بعد دخول الناس من مختلف الألسنة والأجناس في الإسلام، أفيشق الأمر على القرشي والهلذلي وهما أبناء لغة واحدة، ولا يشق على الأعاجم؟ أو ليس في الأمة إلى يوم القيامة: العجوز، والصبي، الجارية، والشيخ الفاني أو العاسي، والرجل الذي لم يقرأ قط، والذي يعصيه لسانه في النطق.²

6. إن الحق في هذه المسألة الذي عليه المحققون: أن شيئاً من الأحرف المنزلة الثابتة في العرصة الأخيرة لم يهمله عثمان ولم يطرحه، ولا فعل ذلك سلفه أبو بكر الصديق رضي الله أجمعين أجمعين، وأن الأحرف الثابتة في العرصة الأخيرة باقية ضمن مصاحف عثمان، وأن الرخصة بها قائمة لكل الأمة إلى يوم القيامة.³

7. ويدل لهذا القول أيضاً ما أخرجه أحمد والطبراني من حديث أبي بكرة (أن جبريل عليه السلام قال يا محمد اقرأ القرآن على حرف قال ميكائيل عليه السلام استزده فاستزاده قال اقرأه على حرفين قال ميكائيل استزده فاستزاده حتى بلغ سبعة أحرف قال كل شاف كاف ما لم تحتّم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع واعجل).⁴

8. كما روي في حديث أبي بن كعب قال: (قرأت آية وقرأ بن مسعود خلافها فأتيت النبي ﷺ فقلت ألم تقرئني آية كذا وكذا قال بلى فقال بن مسعود ألم تقرئنيها كذا وكذا فقال بلى كلا كما محسن مجمل قال فقلت له فضرب صدري فقال يا أبي بن كعب إني أقرئت القرآن فقل لي على حرف أو على حرفين قال فقال الملك الذي معي على حرفين فقلت على حرفين فقال على حرفين أو ثلاثة فقال الملك الذي معي على ثلاثة فقلت على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ليس منها إلا شاف

¹ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص 57.

² - المرجع نفسه، ص 57، 58.

³ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص 58.

⁴ - مسند الإمام أحمد، باب حديث أبي بكرة نفع بن الحارث بن كلدة رضي الله عنه، رقم 21187، (5/124). قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قوله في آخره: " نحو قولك: تعال وأقبل وهلم... إلخ " وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

كاف إن قلت غفورا رحيمًا أو قلت سميعًا عليمًا أو عليما سميعًا فالله كذلك ما لم تحتّم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.¹

قال ابن عبد البر: إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافًا ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده.²

9. لقد خاض العلماء في ذلك وكتبوا في تشابه القرآن في آياته بزيادة حرف أو نقص أو بإبدال كلمة مكان كلمة، وقالوا في ذلك عجبًا، وبينوا الإعجاز الرباني في الإبدال والنقص والزيادة، فكيف يكون قوله عزيزًا حكيمًا، مثل عليما حكيمًا ما لم نخلط آية عذاب برحمة أو العكس كما زعموا.

10. أن القراءة بالمرادف يفتح باب التغيير والتبديل فليس للنبي ولا لصحابي أن يبدل اللفظة من بعض هذه الألفاظ من تلقاء نفسه، فإن هذا القرآن المعجز لو حذف أو أبدلت كلمة منه ثم أدرت لسان العرب كله على أن تأتي بدلها ما استطعت. إن كلمة هلم أو أقبل أو نحوي، لا يمكن أن تسد مسد كلمة تعال لا في اللفظ وتناسقه وسياقه، ولا في أداء المعنى الدقيق لهذه الكلمة. فهل كلمة هلم وأقبل ونحوي وأسرع... تسد مسد كلمة تعال؟ أو كلمة أقوم مثل: أهياً وأصوب، أو كلمة (طعام الفاجر) مثل طعام الأثيم.³

11. واستدلوا على هذا القول أيضا بقراءات مروية عن أعيان الصحابة، كابن مسعود وأبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا نُظُرُونَ﴾ (الحديد: 13) (أمهلونا، أحرّونا، ارقبونا) و﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَؤُافِيهِ﴾ (البقرة: 20) (مروا فيه، سعوا فيه)⁴. وقرأ أنس هذه الآية (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَصْوَبُ قِيَلًا)، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي ﴿وَأَقْوَمُ قِيَلًا﴾ (المزمل: 6) فقال: أقوم وأصوب وأهياً، واحد.⁵

¹ - مسند الإمام أحمد، باب حديث سليمان بن صرد عن أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم 20533، (51/5)، مرجع سابق. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

² - الإتيان، مرجع سابق، (168/1).

³ - المرجع نفسه، ص 107.

⁴ - البرهان، مرجع سابق، (221/1).

⁵ - جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (52/1). قال أحمد ومحمود شاكر: وذكره الميثمي في مجمع الزوائد 7: 156، ونسبه للبزار وأبي يعلى، وقال: "ولم يقل الأعمش: سمعت أنسًا. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات".

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، (قال: قرأ رجل عنده ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقْمِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَيْتِمِ ﴿﴾ (الدخان: 43) فقال أبو الدرداء: قل طعام الأيتيم فقال الرجل: طعام الأيتيم. فقال أبو الدرداء قل: طعام الفاجر.)¹

قال الطحاوي: وإنما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر على كثير منهم التلاوة بلفظ واحد لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الحفظ ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ. وكذا قال ابن عبد البر والباقلاني وآخرون.²

12. أن الآثار المروية عن الصحابة، رضوان الله عليهم، على فرض صحتها هي قراءات شاذة لا يعتد بها في الاستشهاد.³

13. هذه القراءات الشاذة لا تختلف من حيث العموم عن أداء القراءات المقبولة المشهورة، فهل يصح أن تكون هذه القراءات الشاذة قد حُفِظت، ويغيب عنا بقية الأحرف السبعة؟

وينتج عن هذا أن حلَّ الأحرف السبعة موجوداً في وجوه القراءات؛ متواترها وشاذها؛ لأنه لا يُعقل أن تذهب هذه الأحرف بالكلية، ولا نرى بين أيدينا سوى هذه الأوجه المختلفة في القراءات، فصحَّ أن الأحرف لا تخرج عما هو بين أيدينا من هذه الأوجه المختلفة في القراءة.⁴

14. إن هذا القول رغم إجلالنا لقائله وهو ابن جرير الطبري إلا أننا نقول كما قال علماؤنا: هذا الرجل كبير، ولكن الحق أكبر منه، لذا فقد خالفه جماهير العلماء فيما ذهب إليه.⁵

ثالثاً: تفصيل ومناقشة القول الثالث

1. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، هذا شيء غير موجود، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى

¹ - المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة حم الدخان، رقم 3684، (2/451)، مرجع سابق. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

² - الإتقان، مرجع سابق، (1/168).

³ - المنار في علوم القرآن، محمد علي الحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2000م، الطبعة الأولى، ص107.

⁴ - المحرر في علوم القرآن، مرجع سابق، ص91.

⁵ - المرجع نفسه، ص108.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

سواهما، كذلك إلى السبعة. وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض، وذلك يبين في أحاديث تترى.¹

2. قال أبو حاتم السجستاني: نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر.²

3. وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول وقالوا لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم: 4)³

4. واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات! وأجيب بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد ونحن قلنا كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمت سبعة.⁴

5. قال أبو عبيد: وكذلك يحدثون عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سمع ابن عباس، يقول: (نزل القرآن بلغة الكعبين ؛ كعب قريش وكعب خزاعة). قيل له: وكيف ذاك؟ قال: (لأن الدار واحدة). قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا لغتهم.

وأما الكلبي، فإنه يروى عنه، عن أبي صالح، وعن ابن عباس، قال: (نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العَجَزِ من هوازن). قال أبو عبيد: والعجز هم سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف. وهذه القبائل التي يقال لها عليا هوازن. وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم، فهذه عليا هوازن، وأما سفلى تميم فبنو دارم.⁵

6. أما الأثران عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا تقوم بهما حجة؛ لضعف إسناد كل منهما، فأولهما رواه قتادة عن مجهول لم يعينه فهو منقطع، والآخر من رواية الكلبي⁶ وهو كذاب.⁷

¹ - فضائل القرآن، القاسم بن سلام، ص 339.

² - الإتيان، مرجع سابق، (169/1).

³ - البرهان، مرجع سابق، (218/1).

⁴ - الإتيان، مرجع سابق، (170/1).

⁵ - فضائل القرآن، مرجع سابق، ص 340.

⁶ - محمد بن مروان السدي مولى الخطائين يقال له الكلبي، حَدَّثَنَا الحسن بن علي، حَدَّثَنَا يحيى بن سليمان الجعفي، قال: سَمِعْتُ بن نصير يقول محمد بن مروان الكلبي كذاب وما سمعته وقع في أحد غيره، حَدَّثَنَا محمد، حَدَّثَنَا عباس، قال: سَمِعْتُ يحيى قال السدي الصغير محمد بن مروان صاحب الكلام من الخطائين ليس بثقة. ينظر للضعفاء لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي، (136/4).

⁷ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص 54.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

7. أنكر عمر على بن مسعود قراءته (عَتَى حِينَ) أَي ﴿حَتَّىٰ حِينَ﴾ وكتب إليه إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقربى الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل، وكان ذلك قبل أن يجمع عثمان الناس على قراءة واحدة. قال بن عبد البر بعد أن أخرجه من طريق أبي داود بسنده: يحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لا أن الذي قرأ به بن مسعود لا يجوز. قال: وإذا أبيحت قراءته على سبعة أوجه أنزلت جاز الاختيار فيما أنزل.¹

8. ثبت في صحيح البخاري عن عثمان رضي الله عنه وهو قوله لكتاب المصحف، (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا ذلك).²

9. فهذان الأثران صحيحان في أن القرآن، ليست فيه إلا لغة واحدة ولسان واحد، لغة قريش ولسانهم.

10. قال القاضي ابن الطيب رضي الله عنه: معنى قول عثمان فإنه نزل بلسان قريش يريد معظمه وأكثره ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بلغة قريش فقط إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (الزخرف:3) ولم يقل قريشياً؛ وهذا يدل على أنه منزل بجميع (لسان العرب) وليس لأحد أن يقول: إنه أراد قريشاً من العرب دون غيرها، كما أنه ليس له أن يقول: أراد لغة عدنان دون قحطان أو ربيعة دون مضر لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولاً واحداً.³

11. قال أبو شامة: ويحتمل أن يكون مراد عمر ثم عثمان بقولهما نزلاً بلسان قريش أن ذلك كان أول نزوله، ثم أن الله تعالى سهله على الناس فجوز لهم أن يقرءوه على لغاتهم على أن لا يخرج ذلك عن لغات العرب لكونه بلسان عربي مبين، فأما من أراد قراءته من غير العرب فالاختيار له أن يقرأه بلسان قريش لأنه الأولى وعلى هذا يحمل ما كتب به عمر إلى بن مسعود لأن جميع اللغات بالنسبة لغير العربي مستوية في التعبير، فإذا لا بد من واحدة فلتكن بلغة النبي صلى الله عليه وسلم وأما العربي المجهول على لغته فلو كلف قراءته بلغة قريش لعثر عليه التحول مع إباحة الله له أن يقرأه بلغته.⁴

¹ - فتح الباري، مرجع سابق، (27/9).

² - صحيح البخاري، كتاب بدئ الوحي، باب نزل القرآن بلسان قريش، رقم: 4924، (219/4)، مرجع سابق.

³ - الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (44/1).

⁴ - فتح الباري، مرجع سابق، (27/9).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

12. وقال ابن عبد البر: قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر لأن ذلك من لغته التي طبع عليها وأيضا فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي وقد اختلفت قراءتهما ومحال أن ينكر عليه عمر لغته.¹

رابعا: تفصيل ومناقشة القول الرابع

1. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان الكتاب الأول نزل من باب واحد على حرف واحد و نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر و أمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال فأحلوا حلاله و حرّموا حرامه و افعلوا ما أمرتم و انتهوا عما نهيتم عنه و اعتبروا بأمثاله و اعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه و قولوا آمنا به كل من عند ربنا و ما يذكر إلا أولوا الأبواب).²
2. قال ابن عبد البر: "وهذا حديث عند أهل العلم لا يثبت لأنه يرويه حيوة عن عقيل عن سلمة هكذا ويرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سلمة بن أبي سلمة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود وابنه سلمة ليس ممن يحتج به."³
3. قال الماوردي: هذا القول خطأ لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام.
4. قال أبو علي الأهوازي وأبو العلاء الهمداني: قوله في الحديث: "زاجر وأمر" إلخ. استئناف كلام آخر أي هو زاجر أي القرآن ولم يرد به تفسير الأحرف السبعة وإنما توهم ذلك من جهة الاتفاق في العدد ويؤيده أن في بعض طرقه زجرا وأمر -بالنصب- أي نزل على هذه الصفة في الأبواب السبعة.
5. قال ابن عطية: هذا القول ضعيف لأن هذه لا تسمى أحرفا وأيضا فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.⁴

¹ - البرهان، مرجع سابق، (219/1).

² - المستدرك على الصحيحين، باب تفسير سورة آل عمران، رقم 3144، (317/2)، مرجع سابق. صحيح الإسناد ولم يخرجاه. تعليق الذهبي في التلخيص: منقطع.

³ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة، لام، د.ت، لا.ط، (275/8).

⁴ - البرهان، مرجع سابق، (216/1، 217).

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

6. وذكره القاضي أبو بكر بن الطيب وقال هذا التفسير منه ﷺ للأحرف السبعة ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج: 11).¹

7. وقال أبو شامة: يحتمل أن يكون التفسير المذكور للأبواب لا للأحرف أي هي سبعة أبواب من أبواب الكلام وأقسامه أي أنزله الله على هذه الأصناف لم يقتصر منها على صنف واحد كغيره من الكتب.²

8. ومعلوم أن تماريهم فيما تمارؤا فيه من ذلك، لو كان تماريًّا واختلافًا فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد وما أشبه ذلك، لكان مستحيلًا أن يُصوّب جميعهم، ويأمر كل قارئ منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه. لأن ذلك لو جاز أن يكون صحيحًا، وجب أن يكون الله جلّ ثناؤه قد أمر بفعل شيء بعينه وفرضه، في تلاوة من دلت تلاوته على فرضه ونهى عن فعل ذلك الشيء بعينه وزجر عنه في تلاوة الذي دلت تلاوته على النهي والزجر عنه، وأباح وأطلق فعل ذلك الشيء بعينه، وجعل لمن شاء من عباده أن يفعله فعله، ولمن شاء منهم أن يتركه تركه في تلاوة من دلت تلاوته على التخيير.³

الفرع السابع: المراد من الأحرف السبعة

قبل التطرق للقول الراجح رغبت في أن أعرض كلاما نفيسا لعبد العزيز القارئ في كتابه "حديث الأحرف السبعة" بعد ذكره أقوال العلماء في الأحرف السبعة ومناقشة أقوالهم:⁴

لعلك بعد هذه المناقشات، تتسائل عن القول المختار، وتقول في قرارة نفسك: إذا لم يكن هذا ولا ذاك هو المراد بالأحرف السبعة، فما هو المراد إذن؟

قبل أن نبين لك هذا الأمر، دعنا نخبرك بشيء لمخناه عند استعراض الأخبار في الأحرف السبعة، لم نجد في شيء منها عبارة صريحة تُفصّل المراد بالأحرف السبعة. ونقول إن هذا سرا مكنونا يحتاج إلى كشف وإعلان، فإن الشارع لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة لمعرفة هذه الأحرف لتقرأ بها، وتأتي رخصة ربها عز وجل.

¹ - البرهان، مرجع سابق، (216/1).

² - الإتيان، مرجع سابق، (172/1).

³ - جامع البيان في تأويل القرآن، مرجع سابق، (48/1).

⁴ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص 63-65.

المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان

فكيف خلت جميع ألفاظ الحديث من عبارة صريحة تفسر الأحرف وتبينها، ولماذا أضرب رواية الخبر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عن ذلك.

لعل السبب هو واحد من أمرين: إما وضوح المراد من الأحرف بشكل جعلها غير محتاجة إلى تفسير، فتفسيرها حينئذٍ كتفسير الشمس في رابعة النهار، ولذلك لم يرد أبداً في الروايات أن أحداً سأل النبي ﷺ عن معنى الأحرف، فقال معناها كذا. ولا ورد أن الصحابة سألوا أو سئلوا عن ذلك، وقد اطلعوا عليها وعلموها.

وإما عدم وضوح معناها، وصعوبة تفسيرها، وتعسر شرح المراد منها، لانغلاق حقيقته على المدارك في ذلك الوقت، ولكثرة فروعها وتشعبها، ففهمه يحتاج إلى استقراء وتأمل، وبحث ودراسة. ولكن هذا مردود بما بيناه سابقاً حيث أثبتنا أن معنى الأحرف والمراد منها كان معلوماً لدى الصحابة، ومن الضروري أن يكون معلوماً لدى الأمة، حتى تتحقق الحكمة من الرخصة. ومن السخف بمكان: أن ندعي أن المراد لم يكن معلوماً لدى الصدر الأول من الأمة، وهم أعمق فهماً بما أنزل، ثم يأتي أناس بعد ذلك بمئات السنين فيكشفون عن المراد، لذلك ترجح لدي والله أعلم أنهم سكتوا عن تفسير معنى الأحرف لوضوحه لديهم وكونه لا يحتاج إلى تفسير.

والحاجة إنما وقعت في بداية الأمر إلى إزالة ما وقع في نفوسهم من شبهة وقوع التناقض والاضطراب في كتاب الله عز وجل، إذ كانوا قد ألقوا وضعا سابقاً، هو كون القرآن منزلاً على وجه واحد، فلما فُجئوا برسول الله ﷺ يقرأ أوجهاً متعددة متغايرة، توهموا أن هذا التغاير والاختلاف يتنافى مع بلاغة القرآن، وتماسك أسلوبه، ويشكل خللاً وتناقضاً فيه، وربما وسوس لبعضهم الشيطان بالشك في أمر رسول الله ﷺ فتوهم اختلاط الأمر عليه، فأزال النبي ﷺ هذه الخواطر والشبهات العارضة بأمرين:

الأول: إخبارهم بالوضع الجديد، والرخصة الجديدة، وأن هذه الأوجه كلها قرآن منزل، وأن أي وجه منها كافٍ شافٍ.

الثاني: بيان نوع الاختلاف الموجود بين هذه الأوجه، وتقريبه إلى أذهانهم، وأنه ليس من باب التناقض والتضاد، بل من باب التنوع وزيادة المعاني.

الفرع الثامن: القول الراجح

هذا الموضوع من المشكل الذي حارت فيه العلماء واختلفت فيه قَوْلَتُهُمْ، ولا يعني هذا أنه لا يمكن الوصول إلى القول الصواب في معنى هذه الأحرف، كما أن القول الصواب لا يخرج عن مجموع أقوالهم.¹

بعد مناقشة الأقوال يظهر أن القول الراجح والله أعلم، أن الأحرف السبعة هي وجوه قرآنية مُنَزَّلَةٌ متعددة متغايرة في الكلمة القرآنية الواحدة ضمن نوع واحد من أنواع التغاير² وهو اختيار مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار³، وهو مأخوذ من اختيار عبد العزيز القارئ حيث قال: "ولعلك حتى الآن قد تلمست معالم ما نريد أن نقوله في معنى الأحرف، لكننا نحُبُّ أن نبين لك ذلك بعبارات صريحة محدّدة دقيقة، فنقول: الأحرف السبعة هي وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآنا منزلا، والعدد هنا مراد، بمعنى أنّ أقصى حدّ يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير، ولا يلزم أن تبلغ الأوجه هذا الحدّ في كل موضع من القرآن."⁴

¹ - المحرر في علوم القرآن، مرجع سابق، ص92.

² - المرجع نفسه، ص93.

³ - وهو من أسرة الطيار في محافظة الزلفي في المملكة العربية السعودية، ولد عام 1384هـ/1965م في محافظة الزلفي، التابعة لمنطقة الرياض. من أبرز شيوخه: د. محمد بن صالح الفوزان و د. مصطفى مسلم، نال درجة الدكتوراه عام 1421هـ وكانت بعنوان (التفسير اللغوي للقرآن الكريم). <http://afaqattaiseer.net>, 2017/05/26.

⁴ - حديث الأحرف السبعة، مرجع سابق، ص65.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فلقد قضيت مدة في هذا البحث، ولقد كانت رحلة متعبة، لكنها شيقّة وممتعة، كما كانت نافعة ومفيدة، استطعت من خلالها بفضل الله وتوفيقه ومعونته أن أقف على منزلة الشيخ طاهر العلمية والدعوية وأن أقف على أهم اختياراته في علوم القرآن في كتابه التبيان. ومن خلال هذا البحث توصلت إلى عدّة نتائج وتوصيات أجمّلها في الآتي:

النتائج

- 1- الشيخ طاهر لم يكن مجرد ناقل، بل أدمج بعض الأنواع في بعض وبين بعض الفصول التي تحتاج إلى بيان، وضبط أبوابه وتقسيماته وأضاف إليه عدة مسائل وفوائد جديدة لم يسبقه إليه غيره.
- 2- اعتماد الشيخ طاهر على كمية كبيرة من المصادر والمراجع والتي جمع منها مادته العلمية، تزيد عن المئة والعشرين والتي تنوعت فشملت معظم العلوم، مما جعله يؤلف كتابا ممتعا في علوم القرآن.
- 3- كانت اختيارات جل الشيخ طاهر الجزائري المدروسة صائبة وموافقة للجمهور وأئمة السلف.
- 4- إن كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة القرآن من أهم وأشمل ما كُتب في هذا الفن، حيث إن مؤلفه تعرض فيه لأهم مباحث هذا العلم.
- 5- لم تقف جهود الشيخ طاهر عند هذا الحدّ في مجال علوم القرآن، بل كانت له إسهامات مميّزة في جوانب أخرى، كالتفسير واللغة والأدب والحديث والشعر... وغيرها، لكونه يعدّ من العلماء الموسوعيين، الذين يجمعون ويتقنون عدّة فنون.
- 6- إضافة إلى اشتغال الشيخ بالتأليف، فقد ساهم كثيرا في مجال التربية والتعليم والدعوة والإصلاح، فكان ظهور الشيخ طاهر في بلاد الشام الشعلة التي أنارت ظلمات الجهل والتخلف فتفتحت على يديه عقول عدد من الشباب الذين رفعوا لواء النهضة العربية والإسلامية في أوائل القرن العشرين في بلاد الشام.

التوصيات:

- 1- مواصلة دراسة اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه التبيان، والتي بلغ عددها بعد أن أحصيتها في كامل الكتاب بـ: ثلاثين اختيارا.

2- توجيه الطلبة لإعداد رسائل ومذكرات حول جهود الشيخ طاهر الجزائري في (التفسير، علوم القرآن، الحديث،...).

3- إخراج التأليف المخطوطة للشيخ طاهر إلى النور بطباعتها والاعتناء بها وتحقيقها، خاصة تفسيره الكبير، الذي قال عنه الشيخ عبد القادر المغربي عبارة عن حواشٍ على تفسير البيضاوي، في أربعة مجلدات. وهذه المخطوطات موجودة في مكتبة الأسد الوطنية في دمشق، أو في مكتبة السيد قصي بن محب الدين الخطيب في القاهرة.

4- الكتاب جدير أن يكون مقررا دراسيا في مستوى جامعي، يتعلم منه الطلبة ما يزيدهم بصيرة ومعرفة بالقرآن الكريم وعلومه، لما يتمتع به من التحقيق العلمي والأبحاث الهامة على وجه محرر موجز. هذا وما كان من صواب فمن الله وحده ونحمده على ذلك، وما كان من حيف عن الصواب فمن نفسي والشيطان وأسأل الله الغفران.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفهارس

1. فهرس الآيات القرآنية
2. فهرس الأحاديث والآثار
3. فهرس الأعلام المترجم لهم
4. فهرس المصادر والمراجع
5. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الرقم	السورة	الآية
39	2-1	الفاتحة	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
39	7	الفاتحة	﴿وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾
61	20	البقرة	﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافِهِ﴾
35	21	البقرة	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾
48-46	185	البقرة	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾
56	259	البقرة	﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾
56	282	البقرة	﴿وَلَا يُضَارَّ كَتَبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾
35	1	النساء	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورًا بِكُمْ﴾
36	58	النساء	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾
36	3	المائدة	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
35	42	التوبة	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ...﴾
63	4	إبراهيم	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾
44-43	87	الحجر	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾
49-47	106	الاسراء	﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾
66	11	الحج	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾
35	77	الحج	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾
48-47	32	الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾
47	33	الفرقان	﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾

35	1	الأحزاب	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.....﴾
55	19	سبأ	﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا﴾
64	3	الزخرف	﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾
35	45	الزخرف	﴿وَسَعَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا.....﴾
48-46	3	الدخان	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾
62	43	الدخان	﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٣٣﴾ طَعَامٌ الْأَثِيمِ﴾
56	19	ق	﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾
61	13	الحديد	﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا﴾
35	1	المنافقون	﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾
38	1	القلم	﴿تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾
55	32	المعارج	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾
-40-38 42-41	4-1	المدثر	﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾
56	15	النازعات	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾
56	15	البروج	﴿ذُوالْعَرشِ الْمَجِيدِ﴾
49	22-21	البروج	﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ تَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾
56	3	الليل	﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾
-38-37 -40-39 42-41	5-1	العلق	﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾
-47-46 48	1	القدر	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

فهرس الأحاديث و الآثار

الصفحة	راوي الحديث	طرف الحديث
51	ابن عباس	أقرأني جبريل على حروف فراجعته فلم أزل...
44	أبو هريرة	أن إبليس رن حين أنزلت فاتحة...
33	أبو أمامة	أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة...
47	ابن عباس	أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة...
47	ابن عباس	أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا...
38	أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل	إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء...
38	عائشة رضي الله عنها	أول سورة نزلت من القرآن...
39	ابن عباس	أول ما نزل جبريل على محمد...
38	جابر بن عبد الله	جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت...
52	أبو قيس مولى عمرو بن العاص	سمع عمرو بن العاص رجلاً يقرأ...
51	عمر بن الخطاب	سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان...
47	ابن عباس	فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة...
60	أبي بن كعب	قرأت آية وقرأ بن مسعود خلافها...
37	عائشة رضي الله عنها	كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ
65	ابن مسعود	كان الكتاب الأول نزل من باب واحد
58	أبي بن كعب	لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال...
63	ابن عباس	نزل القرآن بلغة الكعبين...
48	ابن عباس	نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر...
63	ابن عباس	نزل القرآن على سبع لغات...
43	علي بن أبي طالب	نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش....

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم المترجم له
9	عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي
13	القاسمي
14	محمد كُرد علي
14	محب الدين الخطيب
14	محمد سعيد الباني
23	عبد الفتاح أبو غدة
44	أبو الليث السمرقندي
63	الكلبي
68	مساعدا بن سليمان بن ناصر الطيار

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- 1. الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام، محمد بن عبد الله الرشيد، مكتبة الإمام الشافعي، السعودية، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ، الطبعة الأولى.
- 2. الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، لا.م، أيار/مايو 2002م، الطبعة الخامسة عشر.
- 3. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م، لا.ط.
- 4. الانتصار للقرآن، القاضي أبو بكر الباقلاني، تحقيق محمد عصام القضاة، دار الفتح عمّان، دار ابن حزم، بيروت، 1422هـ/2001م، الطبعة الأولى.
- 5. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، لا.م، 1408هـ/1988م الطبعة الأولى.
- 6. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، لا.م، 1376هـ/1957م، الطبعة الأولى.
- 7. التبيان، طاهر الجزائري، عناية عبد الفتاح أو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية ودار البشائر الإسلامية، بيروت، 1433هـ، الطبعة الخامسة.
- 8. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، لا.م، 1420هـ/1999م، الطبعة الثانية.
- 9. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة، لا.م، د.ت، لا.ط.
- 10. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، لا.م، 1420هـ/2000م، الطبعة الأولى.
- 11. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ/2003م، لا.ط.

12. جمال الدين القاسمي وعصره، ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية دمشق، 1385هـ/1966م، الطبعة الأولى.
13. جمال القراء وكمال الإقراء، علم الدين السخاوي، تحقيق مروان العطيّة ومحسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق-بيروت، 1418هـ/1997م، الطبعة الأولى.
14. حديث الأحرف السبعة، عبد الفتاح القارئ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1423هـ/2002م، الطبعة الأولى.
15. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، لان، لا.م، 1424هـ/2003م، الطبعة الثانية عشرة.
16. دلائل النبوة، الإمام البيهقي، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، لا.م، 1408هـ/1988م، الطبعة الأولى.
17. رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، دار البشير للثقافة-دار المنارة، جدة، 1997م، الطبعة السابعة.
18. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، لا.ط.
19. الشيخ طاهر الجزائري رائد التجديد الديني في بلاد الشام في العصر الحديث، حازم زكريا محيي الدين، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1421هـ/2001م، الطبعة الأولى.
20. صحيح البخاري، دار الشعب، القاهرة، 1407هـ/1987م، الطبعة الأولى.
21. صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت ودار الأفاق الجديدة، بيروت، د.ت، لا.ط.
22. عجمُ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1400هـ/1980م، الطبعة الثانية.
23. علوم القرآن الكريم، أنور الدين محمد عتر الحلبي، مطبعة الصباح، دمشق، 1414هـ/1993م، الطبعة الأولى.
24. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، لا.ط.
25. فضائل القرآن، القاسم بن سلام، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، 1420هـ، لا.ط.
26. كنوز الأجداد، محمد كرد علي، ص6، دار أضواء السلف، لا.م، د.ت، لا.ط.

27. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لا.م، 2000م، الطبعة الرابعة والعشرون.
28. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لا.م، 1421هـ/2000م، الطبعة الثالثة.
29. محب الدين الخطيب، ممدوح فخري، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، محرم 1390هـ، الطبعة: العدد الثالث-السنة الثانية.
30. المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، لا.م، 1429هـ/2008م، الطبعة الثانية.
31. مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربي، القاهرة، د.ت، لا.ط.
32. المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شُهبة، مكتبه السنّة، القاهرة، 1423هـ، الطبعة الثانية.
33. المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م، الطبعة الأولى.
34. المسند، الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت، لا.ط.
35. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، 1415م، لا.ط.
36. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، الطبعة الأولى.
37. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، العلامة عبد القادر بدران، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 1985م، لا.ط.
38. المنار في علوم القرآن، محمد علي الحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2000م، الطبعة الأولى.
39. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، لا.م، د.ت، الطبعة الثالثة.
40. المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ، الطبعة الثانية.

41. أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، لا.م، د.ت، لا.ط.
42. النكت والعيون، الماوردي، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، لا.ط.

المقالات:

1. مقال بعنوان الشيخ طاهر الجزائري نموذج للمعلم المرابي والداعية رائد النهضة في بلاد الشام، هاني المبارك، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 108، 2008م/1428هـ.
2. مقال بعنوان العلامة طاهر الجزائري، للدكتور أسامة شحادة، مجلة البيان، <http://albayan.co.uk>, 2017/05/28.
3. مقال بعنوان العالم الموسوعي الشيخ طاهر الجزائري وكتابه "التبيان لبعض المسائل المتعلقة بالقرآن"، مجلة مخبر إسهامات علماء الجزائر في الدراسات الإسلامية، مختار قديري، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2016.
4. مقال بعنوان عبد الفتاح أبو غدة شيخ سوريا الأول، محمد عادل فارس. <http://islamstory.com>, 2017/07/04.

مواقع الانترنت:

1. موقع انترنت <http://afaqattaiseer.net> 2017/05/26.

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
-	شكر وعرفان
-	إهداء
-	الملخص باللغتين العربية والانجليزية
أ	مقدمة
المبحث الأول: التعريف بالشيخ طاهر الجزائري	
المطلب الأول: حياته الشخصية	
08	الفرع الأول: اسمه ونسبه وولادته
09	الفرع الثاني: رحلاته ووفاته
10	الفرع الثالث: سماته الخلقية والخلقية
المطلب الثاني: حياته العلمية	
12	الفرع الأول: نشأته العلمية وشيوخه
13	الفرع الثاني: سماته العلمية وثناء العلماء والمفكرين عليه
15	الفرع الثالث: تلاميذه وأثره فيهم
16	الفرع الرابع: اشتغاله بالتأليف ومؤلفاته
المطلب الثالث: حياته المهنية والدعوة	
18	الفرع الأول: اشتغاله بالنشاط العلمي و التعليمي
19	الفرع الثاني: اشتغاله بالنشاط الدعوي و الاجتماعي
المبحث الثاني: التعريف بكتاب "التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن"	
المطلب الأول: تسمية الكتاب وموضوعاته ومصادره	
23	الفرع الأول: تسمية الكتاب
24	الفرع الثاني: موضوعاته
26	الفرع الثالث: مصادره

28	المطلب الثاني: منهجه في الكتاب
المطلب الثالث: المميزات و المآخذ على الكتاب	
30	الفرع الأول: مميزات الكتاب
31	الفرع الثاني: المآخذ على الكتاب
المبحث الثالث: دراسة أهم اختيارات الشيخ طاهر الجزائري في علوم القرآن في كتابه	
المطلب الأول: اختياره في بيان المكي و المدني من القرآن	
33	الفرع الأول: مجمل الأقوال
33	الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم
35	الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري
35	الفرع الرابع: مناقشة الأقوال
36	الفرع الخامس: القول الراجح
المطلب الثاني: اختياره في ذكر أول ما نزل من القرآن	
37	الفرع الأول: مجمل الأقوال
37	الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم
40	الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري
40	الفرع الرابع: مناقشة الأقوال
42	الفرع الخامس: القول الراجح
المطلب الثالث: اختياره في مكية أو مدنية سورة الفاتحة	
43	الفرع الأول: مجمل الأقوال
43	الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم
44	الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري
45	الفرع الرابع: مناقشة الأقوال
45	الفرع الخامس: القول الراجح
المطلب الرابع: اختياره في كيفية نزول القرآن	

فهرس الموضوعات

46	الفرع الأول: مجمل الأقوال
47	الفرع الثاني: أصحاب الأقوال وأدلتهم
49	الفرع الثالث: اختيار الشيخ طاهر الجزائري
49	الفرع الرابع: مناقشة الأقوال
50	الفرع الخامس: القول الراجع
المطلب الخامس: اختياره في نزول القرآن على سبعة أحرف	
51	الفرع الأول: أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف
53	الفرع الثاني: شواهد بارزة في هذه الأحاديث الواردة
53	الفرع الثالث: أشهر الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف
54	الفرع الرابع: أصحاب الأقوال
55	الفرع الخامس: اختيار الشيخ طاهر الجزائري
55	الفرع السادس: تفصيل الأقوال ومناقشتها
66	الفرع السابع: المراد من الأحرف السبعة
68	الفرع الثامن: القول الراجع
70	الخاتمة
73	فهرس الآيات القرآنية
75	فهرس الأحاديث والآثار
76	فهرس الأعلام المترجم لهم
77	فهرس المصادر المراجع
81	فهرس الموضوعات